اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف
[٦٨٦]

رئيس التحرير: رجب البنا

مدير التحرير:
كريمة متولى

تصميم الغلاف:
منال بدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ Email: maaref@idsc.net.eg

المستشار عبد الحميد يونس

تاريخنا الجنائى فى الشارع السياسى

دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

مقدمة

القضايا التى بين يديك هى صفحات تعكس واقعا جرى لنا، ولعلك تلاحظ أنها جرائم قتل وضرب وكلها مغلفة بجانب سياسى.

وما سبق يدل على الحس الذى كان يراود الناس فى تلك الحقبة من الزمن. وليس بالضرورة أنك توافق على هذه الجرائم التى تمت أو شَرَع فاعلها فيها. فمن هذه الجرائم ما لا يقره شرع ولا دين بل لعلها خروج على مقتضيات ذلك.

ولعلك تسأل ما الذى دعانى إلى كتابة هذه القضايا؟

السبب أننى بدأت حياتى العملية إلى جوار المحاماة أكتب هذا النوع من القضايا فى أخبار اليوم - الصفحة الخامسة - وكذلك آخر لحظة - الصفحة الثالثة - وكانت مجلة ملحقة بآخر ساعة الأسبوعية. ولم تكن جريدة الأخبار اليومية قد صدرت بعد، وكانت أخبار اليوم وآخر لحظة تحتفلان بنشر هذه القضايا.

من هنا بدأ شغفى بهذه القضايا التاريخية التى تمثل حياتنا ورأيت أن أحيطها بكثير من التفاصيل التى تهم الكثيرين.

ولعل أبرز ما تلاحظ أن جرائم الحقبة التى نعيشها الآن تختلف تماما عن الحقبة التى كتبت عنها القضايا التى بين يديك.

القضايا الحالية كلها تهريب وتهليب من البنوك وعبارة عن خطف وجرى بأقصى سرعة والبحث عن طريق لمغادرة البلاد إلى الخارج.

والمنهوب من بنوكنا الوطنية ليس ألوفا بل ملايين وملايين.

وكيف حصل هؤلاء على هذه المبالغ؟ وما هى الضمانات لسداد هذه القروض؟ والإجابة لا شىء. إنه مال لا صاحب له. وليس هناك من يسأل عنه، ومن عنده يُعطى ويُزاد.

وهذا الذى جرى لنا لم يتوقف بعدُ لأنه تاريخ بدايته هو عام الانفتاح الانفلاتى المسعور المجنون عام ١٩٧٤ الذى باركته الحكومة، وخلال سنوات جرى موضوع الريان - وهم تجار «كرشة» فى ميدان الجيزة ثم فتح الله عليهم من باب واسع واستولوا بهمة على مدخرات الناس وخاصة العاملين فى خارج البلاد والذين يبحثون عن أسرع الطرق للثروة والمال. وكانت النتيجة دخولهم السجن وضياع أموال الكثير بل أغلب المتعاملين الطامعين فى المكسب.

والكتاب الذى بين يديك تخطئ إذا تصورت أنه كتاب قُصد من ورائه التسلية أو الترفيه بل كتاب جاد يصور حالة المجتمع على مر

التاريخ. وقد عُنيت أن يكون مع كل قضية السنة التى جرت حوادثها فيها.

أزعم أن يكون ما بين يديك مرجع تاريخى قضائى لم يسبق صدور مثله حتى الآن على الأقل.

مع الشكر.

المستشار عبد الحميد يونس

القاهرة فى ١٩ مايو ٢٠٠٣

① سنة ١٢٤٩م

اغتيال ملكة مصر ضربًا بالقباقيب !

شجرة الدر ملكة على مصر من حوالى ٧٠٠ سنة تقريبا.

كانت وهناك من يقول: إن اسمها الحقيقى شجر الدر وليس شجرة.

وقبل أن نسترسل فى الكلام قد يظهر سؤال هل هناك سيدات أخريات حكمن مصر؟ الجواب.. نعم.

- أيام الفراعنة حكمتنا الملكة – حتشبسوت – وكانت فى حياتها تتشبه بالرجال وتلبس ملابسهم.
- الملكة الجميلة – نفرتيتى – زوجة أخناتون وقد عشق زعيم المانيا– هتلر – تمثالها المسروق من بلادنا واستقر فى أحد المتاحف بمدينة برلين.

التمثال له عين واحدة فهل كانت فى حقيقتها كذلك أم أن صانع التمثال لم يكن قد فرغ من نهايته؟

- الملكة كليوباترا كانت شخصية ذات جمال باهر أحبها القائد الرومانى انطونيو، وسار إليها من إيطاليا إلى الإسكندرية، وقامت بينهما علاقة حب وغرام، وأوغر ذلك صدر «شقيق زوجته»

فتوجه إليه مع أسطول بحرى كبير، وانتهى الأمر بانتحار كليوباترا وعشيقها انطونيو.

- شاعرنا الكبير أحمد شوقى خلد ما سبق فى مسرحية تحمل اسم (مصرع كليوباترا) - كما غنى لها عبد الوهاب. ونحن فى مصر خلدنا صورتها بوضعها على صندوق السجاير الذى يعرف باسمها.

□□□

من الملكات قريبات العهد نسبيا الملكة شجرة الدر فما موضوعها؟

كنا فى عام ٦٤٧ هجرية أى فى أوائل القرن الـ ١٣ الميلادى ويحكم البلاد الملك الصالح ولدينا «كوبرى» بحى الروضة يحمل اسمه.

الحرب دائرة بيننا وبين الفرنسيين واعتقلت القوات المصرية ملك فرنسا لويس التاسع وحبسوه فى دار ابن لقمان وهو القاضى الشرعى بالمنصورة..

فى هذا الجو توفى الملك وكانت أقرب زوجاته إليه هى شجرة الدر الملقبة بأم خليل.

ماذا فعلت بعد وفاة زوجها؟

أخفت خبر الوفاة عن الجميع وقامت بدفن زوجها الملك سرا، وفى ظلام الليل. واستمرت تُسَيِّر أمور المملكة باسمه وتوقع القرارات

بخاتمه وكانه مازال حيا مريضا فى سريره، وبعد أن توطدت لها الأوضاع أعلنت وفاته ونصبت ابنه - طوران - مكانه وكان محبا للسهر والسمر وللشراب مولعا بالنساء. وكان أمرا ميسورا دس السم له وإلقاء جثته فى النيل وأذاعت أنه نزل إلى النيل ليستحم فمات غرقا.

وتحمس كثير من الرجال لشجرة الدر، فقد كان لها قدرة ومقدرة على جذب الناس.

وأعلن قاضى القضاة بيانا يقول: اللهم احفظ علينا ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المعتصمية زوجة وصاحبة السلطان الملك الصالح يرحمه الله.

وكانت قد أقامت وليمة لتحتفى بالجيش وعلماء البلاد الذين تزاحموا لإعلان ولائهم لها وناشدوها أن تصبح عليهم ملكة وكانت تتمنع ثم وافقت.

وكانت قد عقدت اتفاقا سريا مع أحد كبار مراكز القوى فى البلاد هو قائد الجند عز الدين أيبك، ومنته بما يتمنى ويخفيه، فأعطى صوته علانية لها ملكة على مصر.

القائد عز الدين أيبك كان يخفى فى باطنه أمرًا.. أن يمهد لها سلطان النفوذ والجلوس على العرش، وفى الوقت ذاته يكون هو الحاكم الفعلى للبلاد والذى يمسك بجميع الخيوط فى يديه.

لكن شجرة الدر كانت تملك من الذكاء والدهاء والهمة فوق الجمال الباهر. ولها من عزم الرجال نصيب كبير. ومن شجاعة الفرسان وجراتهم قدر موفور.

□□□

نصبت شجرة الدر ملكة على البلاد وإلى يمينها حليف قوى هو قائد جندها الذى أحبها وطمع فيها أكثر من حبه وعشقه للحكم.

لكن الأيام لا تصفو إلى أمد طويل والليالى لا تحلو إلى الأبد فسرعان ما وصل مندوب من بغداد يحمل رسالة من الخليفة المستعصم بالله.

تقول الرسالة المكتوبة والمختومة بخاتم الخليفة.

«.. بلغنى أنكم وليتم أمركم جارية الملك الصالح - شجرة الدر- وقلدتموها أمور الدولة وجعلتموها سلطانة عليكم فإذا لم يكن لديكم رجال يصلحون فاخبرونا نرسل لكم من يصلح للأمر ويصلحه». وتطالب الرسالة باختيار أحد أفراد الأسرة الأيوبية الحاكمة.

وانتهت الرسالة بالتذكير بحديث شريف: «.. ما أفلح قوم ولوا أمورهم امرأة».

الرسالة لم تحو خبرا فحسب بل تضمنت تقريعا وتانيبا لأهل مصر على ما فعلوا والتوقيع من أمير المؤمنين.

كانت شجرة الدر تملك قدرا من السياسة والكياسة، واستوعبت الرسالة التى ألقاها مندوب أمير المؤمنين. وعلقت عليها بأن علينا السمع والطاعة لأمير المؤمنين. وقررت عزل نفسها من الحكم. وتولاه من بعدها الملك الأشرف وكان عمره تسع سنوات، وعين عز الدين أيبك وصيا عليه. لكن قائد الجند ضاق به فعزله بل وحبسه. وأعلن نفسه أميرا وحاكما وملكا على البلاد وشجعته على ذلك حبيبة القلب شجرة الدر.

□□□

دائما وأبدا قصور الحكام مليئة بالوساوس والدسائس والأراجيف والأقاويل والشكوك.

وصلت رسالة سرية إلى شجرة الدر أن عز الدين أيبك على وشك الزواج بأميرة عراقية وهى فى الطريق قادمة من بغداد إليه، وأحست بنار الغيرة تشتعل فى صدرها.

اتصلت بعز الدين أيبك وأبلغته أن لديها أخبارا سارة، ودعته إلى العشاء فى قصرها وكانت الغيرة والشك يشتعلان فى قلبها.

استقبلته بكل الحفاوة والإكرام وسألته عما إذا كان يرغب فى أخذ -- حمام - وسعد لذلك.

وحينما كان واقفا فى - المغطس - عاريا.. فوجىء والصابون على عينيه بالخدم يعملون فيه الضرب من كل جانب بالقباقيب.

صرخ واستنجد بشجرة الدر أن تنقذه، وكادت أن يرق قلبها، لكنهم أفهموها أنها لو أنقذته فسيكون انتقامه منها ومنهم رهيبا، فتكاسلت عن إنقاذه، وبعد أن توفى تولى ابنه واسمه - على - الحكم خلفا له.

علىٌ هذا هو ابن زوجة عز الدين أيبك الأولى - ضرة - شجرة الدر وكان أمرا طبيعيا من أم على أن تطالب ابنها الذى تولى الحكم أن يأخذ بثأر أبيه من شجرة الدر.

وفى ليلة ظلماء ليس لها نجوم، توجه الحاكم ومعه بعض الجند الأشداء إلى قصر شجرة الدر واستقبلهم رئيس خدمها وكان قد قبض رشوة كبيرة ليكون دليلا لهم لمعرفة فى أى غرفة تقيم بالليل وإذ عثروا عليها كان الانتقام منها رهيبا، ضربوها بذات سلاحها - القباقيب - ومن شعرها جروها، ومن ثيابها جردوها، وإلى باب القصر فى الشارع ألقوها، وتم ذلك كله فى الظلام.

عندما لاحت تباشير الصباح سمحوا للغوغاء والدهماء باقتحام القصر ونهب محتوياته والعبث بأرجائه.

□□□

هدأ بال - أم على - واستكانت وأمرت بعمل نوع من الحلوى، عبارة عن رقائق من القمح مع اللبن ومحلى بالسكر وعلى سطح

الطبق - زبيبتان - رمزا - لحلمتى - ثدى شجرة الدر، ووزعت الأطباق على الأحباب والأصحاب.

□□□

.. لم يتبق من شجرة الدر سوى شارع باسمها فى حى الزمالك، ولم يبق من القصة بأسرها سوى طبق الحلوى المعروف بالمكسرات أو بدونها.

«أم على» !!

② فى عام ١٨٠٠

أول اغتيال سياسى فى مصر

كان موقع مصر الاستراتيجى نعمة لنا من عند الله فهو أيضا نقمة. فهو السبب الرئيسى فى أننا قاسينا كثيرًا. ذلك لأننا دائما وأبدا مطمع الطامعين وغذاء شهى للمستعمرين.

إذا

احتلنا الإنجليز عام ١٨٨٢ وقبل ذلك احتلنا الفرنسيون عام ١٧٩٨. وقاومنا الاحتلال سواء هذا أم ذاك حتى تم جلاؤه وتطهرت البلاد منه فى المرتين.

جاءنا نابليون غازيا البلاد ولم يستمر سوى عام واحد غادر بعده مصر وخلف مكانه الجنرال كليبر.

كلاهما كان ضابطا. لكن الفارق بينهما كبير.

نابليون كان سياسيا ولّينا وادعى أنه اسلم ولبس العمامة وقرب منه العلماء والأشراف وادعى أنه جاء ليخلص المصريين من عسف المماليك الظلمة.

وإذا كنت ترى الآن العمامة على بعض الرءوس فى بلادنا ذات الألوان الثلاثة الأبيض والأحمر والأزرق فهذه الألوان هى الوان العلم الفرنسى وتلك من آثاره.

وكان نابليون يهدى الأشراف وكبار القوم شيلانا - جمع شال- من الكشمير بهذه الألوان الثلاثة الأبيض والأحمر والأزرق.

عندما غادر نابليون البلاد وعاد إلى فرنسا ترك خلفه كليبر كما سبق أن بينا. وكان سيىء الطبع ميالا للقسوة والشدة محتقرا المصريين وكان كل همه زيادة الضرائب عليهم والحصول عنوة على المحاصيل والإيرادات بالقوة. مما استفز المصريين وضايقهم. فقاموا بمقاومته أكثر من مرة. وفى كل مرة تكون الغلبة- طبعا - للقوات النظامية الفرنسية. لكن الشعب لم يكن يهدأ وكان إذا توقف فللتفكير كيف يعود للمقاومة من جديد.

القائد الجديد - كليبر - نائب نابليون اتخذ له مقرا قصر محمد بك الألفى ويقع بشارع بركة الأزبكية بشارع إبراهيم باشا الذى أصبح شارع الجمهورية بعد الثورة.

وهذا القصر صار فيما بعد لوكاندة - شبرد - والتى أحترقت فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٢.

وفى يونيو عام ١٨٠٠ كان الجنرال كليبر يستعرض كتيبة من الأروام المقيمين بمصر ويتحدثون العربية كأحد أبنائها وكانت بقيادة أحدهم ويدعى نيقولا بابا زولو.. وهذه الكتيبة كان كليبر يعدها لمواجهة اضطرابات المصريين ومحاولاتهم التمرد والعصيان.

وما أن انتهى كليبر من الاحتفالات وعاد إلى قصره للراحة حتى فوجئ بمن يخرج من بين الأشجار ويثب عليه ويوقعه على الأرض ثم يعمل خنجرا - كان فى يده - فى جسده ورأسه ثم تركه.

فنهض كليبر متثاقلا لكن الجانى عاد إليه مرة أخرى ليعاود طعنه من جديد حتى فارق الحياة.

حين استغاث كليبر برجاله حضروا وقبضوا على الجانى وحاولوا إسعاف كليبر لكن فاضت روحه. وتبين أن الجانى طالب بالأزهر يدعى «سليمان الحلبى» الذى أنكر فى بادئ الأمر أى شىء عن الحادث ولكن باستعمال العنف والقسوة والتعذيب الشديد معه اعترف بتفاصيل الموضوع فأرشد عن زملاء له مجاورين فى الأزهر. وأنهم يعلمون بالموضوع وقبض عليهم ووجهت إليهم تهمة (علم ولم يبلغ) وكانت جريمة فى القانون الفرنسى. كما قبض على شيخ عجوز، قال عنه: إنه أفتى له بأن قتل كليبر حلال ويعتبر من أنواع الجهاد وهو الشيخ مصطفى القبرصلى.

ويصف لنا المؤرخ الشيخ - الجبرتى - ما جرى فيقول.. حدثت هوجة عظيمة من الناس وانزعاج - وكَرشَة - والناس لا تدرى ما الحالة ولم يمض زمن طويل حتى دقت طبول الفرنسيين من المعسكر ثم انتشرت شائعة عن مصرع سارى عسكر الفرنساوية الجنرال كليبر وعلى الأثر اندفع الجنود الفرنسيون كما المهابيل

يضربون بالسيوف كل من يصادفهم ظانين أن ما جرى تمهيد لثورة عارمة من الشعب ضد تواجدهم.

□□□

الذى قام بالتحقيق مع الجانى هو الجنرال - مينو - وكان أقدم ضباط الحملة الفرنسية.

جنرال - مينو - أرسل إليه رجلاً روميًا كان الفرنسيون قد استقطبوه ليعمل معهم واستطاع أن ينتزع من الجانى اعترافا كاملا بكل ما جرى إذ لم يتحمل التعذيب الوحشى الذى وقع عليه.

ومما يذكر أن الجنرال - مينو - بعد أن تركت الحملة الفرنسية مصر بشكل نهائى استمر باقيا فى البلاد واعتنق الإسلام وتزوج مصرية من رشيد ويتردد أنها من أسرة الجارم وهناك من يرى أنها من أسرة بدر الدين.

□□□

انعقدت محكمة فرنسية لمحاكمة سليمان الحلبى وأثناء المحاكمة كانت تحفر قبور للمتهمين، كما قام جنود بتجهيز - خازوق - لمن سيجلس عليه لأن الأحكام كانت معروفة ومعدة مسبقا ولم يمنع ذلك من المحافظة على مجرد الشكل بكل احترام بمعنى أن المتهمين كان معهم محامون فرنسيون يقومون بالدفاع عنهم وفى المرافعة يلتمسون لهم البراءة أو التخفيف بالرأفة.

ثم تليت الأحكام علنا بالفرنسية وقام مترجم بالترجمة إلى العربية.

- حرق اليد اليمنى لسليمان الحلبى ثم يوضع على - خازوق - حتى يموت وتظل جثته منصوبة للطيور الجارحة تنهشها وبعد أيام ثلاثة تدفن جثته.
- إعدام شركائه بقطع الرأس وتوضع رءوس المعدمين على أسنة الرماح ويتم ذلك فى حياة سليمان الحلبى وعلى مرأى منه.
- تصادر أموال وممتلكات الجميع إذا وجدت لصالح الحامية الفرنسية.
- الإفراج عن الشيخ مصطفى القبرصلى وكان عمره يزيد على ٨٢ سنة ومريضا. وتم سؤاله بصعوبة.

□□□

وبمناسبة سليمان الحلبى. ففى عهد قريب كان حسين توفيق الذى اتهم باغتيال أمين باشا عثمان وهرب من حارسه أثناء توصيله من المحكمة إلى السجن ثم غادر البلاد بمساعدة البعض ومنهم احسان عبد القدوس إلى سوريا وأقام هناك وسمع الحكم من محكمة الجنايات غيابيا.

فى سوريا قبض البوليس على حسين توفيق أثناء محاولة قام بها لاغتيال الرئيس أديب الشيشكلى حاكم سوريا وقتها.

أثناء المحاكمة وقف وكيل النيابة السورى وأخذ يقارن بين سوريا التى أوفدت سليمان الحلبى لاغتيال المستعمر الفرنسى الأجنبى.. أما مصر فقد أرسلت من يحاول اغتيال حاكم البلاد الوطنى الرئيس الشيشكلى.

وكانت مقارنة ظالمة منه. فلم ترسل سوريا سليمان الحلبى إلى القاهرة كما لم ترسل مصر حسين توفيق إلى سوريا.

□□□

وبما سبق أغلق ملف قضية أول اغتيال سياسى فى بلادنا.

③ فى عام ١٨١١

مصرع «زعلوك» خطأ فى مذبحة المماليك !

محمد على باشا هو مؤسس الأسرة العلوية الحاكمة فى بلادنا وتوالى نسله حكاما تحت أسماء مختلفة. باشا أو سلطان أو ملك أو خديو. وكان آخر الحكام من نسله الطفل أحمد فؤاد الثانى الذى حكمنا تحت اشراف مجلس وصاية برياسة الأمير محمد عبد المنعم وذلك عقب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢. وفى عام ٥٣ أعلنت الثورة سقوط الملكية وقيام النظام الجمهورى أى إن النظام الملكى استمر ١٤٧ سنة.

فى عام ١٨٠١ وطئت أقدام محمد على أرض مصر موفدا من قبل الدولة العثمانية ضمن حامية من الألبان لحفظ النظام فى مصر. وكان محمد على هو الرجل الثانى فى الحامية العسكرية. وإذ توفى قائدها تولى محمد على الحكم مكانه فأحسن التصرف مع الناس العامة والخاصة وتودد إلى رجال الدين وخاصة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف حتى سنحت الفرصة فرشحه المصريون لدى الباب العالى أن يحكم مصر.

وألبسه المصريون بزعامة عمر مكرم - خلعة الحكم وكان ذلك فى عام ١٨٠٦.

تزوج ١٣ امرأة أشهرهن أمينة هانم، وأنجب ٣٥ ولدا خلاف البنات.

وأشهر الأولاد إبراهيم باشا – طوسون باشا – والخديو إسماعيل، ومن الأميرات نازلى هانم وتوحيدة هانم.

هناك من يرى أن إبراهيم باشا ليس ابنه ولكنه ابن زوجته. وفى عهد فاروق نشر كريم باشا ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق كتابا عن محمد على باشا ذكر فيه هذا الخبر: أن هناك من يرى أن إبراهيم باشا ليس ابنه ولكنه ابن زوجته.

كريم ثابت ذكر الواقعة ثم عاد ونفاها وقال: إن مصدرها القنصل الفرنسى.

وقد تنازل محمد على فى حياته عن الحكم لإبراهيم باشا فى عام ١٨٤٨ وكان محمد على قد أصيب بمرض – خرف الشيخوخة – المسمى حاليا زهيمر إلا أن إبراهيم باشا لم يعمر فى الحكم فمدته كانت سبعة شهور فقط، ثم توفى وبعده توفى محمد على فى عام ١٨٤٩.

□□□

عامل محمد على المصريين بكل السياسة والكياسة مع الذكاء والدهاء، فتوسم المصريون أن يأتى الخير على يديه فأرسلوا إلى الاستانة يرجون ويلحون فى الرجاء أن يتولى محمد على الحكم وكان فى طليعة الموالين والمتشيعين لمحمد على السيد عمر مكرم.

لكن ما أن استلم الحكم حتى تغيرت سياسته وتصرف كما لو كان قد قرأ كتاب - الأمير - لمؤلفه ميكيافيللى.. الذى علم الحكام أن السياسة علم السفالة والانحطاط. وكان يرى أن الغاية تبرر الوسيلة. أى الوسيلة ليست مهمة طالما ستصل إلى الهدف.. أيضا كان له مبدأ آخر بعيدا عن الأخلاق، إذ كان يطالب إذا انتصرت فى معركة فعليك أن تتخلص من أهم أعدائك. ثم يعود ويسأل نفسه ويجيب !

أهم أعدائك هم الذين ساعدوك للحصول والوصول إلى الحكم لأنهم يريدون أن يشاركوك فى اقتسام الحكم معك. أى يكون لهم معك نصيب. وتفصيل ذلك أنه فعل أمرين هما:

- من المعروف طبعا أن الذى ساعده فى تولى أعباء الحكم وألبسه خلعة الحكم هو السيد عمر مكرم وهو نقيب الأشراف وصاحب رأى مسموع لدى الناس.

حكم محمد على عليه بتقييد يديه وأن يسير على قدميه حتى دمياط، ومعه حرس يركبون الخيل وهناك فى دمياط كان منفاه، وظل به حتى توفى.

أما لماذا انقلب محمد على، على عمر مكرم؟ فسببه الخلاف الذى وقع بينهما بسبب أطيان الأمراء المماليك الذين قتلهم محمد على فى مذبحة القلعة.

● الأمر الثانى ما جرى منه للمماليك. دعاهم محمد على للعشاء وإذ انتظم عقدهم وهم يتسامرون ويتناولون الشراب هجم عليهم حراس البانيون أشداء وفتكوا بهم فتكا. ولم ينج منهم أحد سوى مملوك واحد جاء متأخرا هو محمد بك الألفى وإذ شاهد ما جرى سارع بالقفز بحصانه من على سور القلعة. وحين اقترب من الأرض قفز فورا عن الحصان ونزل سالما، أما الحصان فقد نفق.

وهناك من يرى أن الذى قفز بالحصان هو إسماعيل بك البواب وليس الألفى.

□□□

لكن ما الخلاف الذى دب بين محمد على وبين عمر مكرم وكانا صديقين؟!

الخلاف انحصر حول ما آلت إليه أطيان الأمراء الذين قتلوا فى مذبحة المماليك.

محمد على قام بضم أطيانهم إلى أملاكه وكان عمر مكرم يرى أن هذه الأطيان يجب أن تئول إلى بيت المال وليس إلى محمد على شخصيا.

وكان محمد على أثر انتهاء مذبحة المماليك أباح لرجاله اقتحام قصور هؤلاء المماليك ونهب ما بها، واستمر ذلك مدة ثلاثة أيام واشترك مع الجنود الدهماء من الشوارع.

□□□

عن مذبحة المماليك وقد مضى عليها هـذا الزمـن الطويـل أذكـر أنى كنت فى الستينات فى زيارة للوزيـر فريـد باشـا زعلوك فى مكتبه بعمارة بحرى بميدان مصطفى كامل.

وكان فريد باشا شخصية جذابة محببة.. يحسن لقاء الأشخاص وله طريقة عذبة فى الكلام والضغط على مخارج الألفاظ وتفخيمها.

سألته ببراءة.

ما تأصيل لفظ.. زعلوك؟

قال بكل بساطة ودون تكلف.

جدنا الأكبر لم يكن من المماليك لكنه كان موظف حسابات مع أحد المماليك، وتصادف وجوده فى القلعة يوم المذبحة وهى مجرد مصادفة، ولا نعرف إذا كان هذا من سوء حظنا أم من حسنه فقد قتله الحراس مع من قتل.

وإذ انتهت المعركة وراح أمير اللجنة يحصى القتلى ليتبين من هم. وُجدت جثة الشيخ زعلوك ولم يكن مملوكا ولكنه قتل خطأ.

وإذ قيل لمحمد على ما جرى أمر على الفور بمنحه مئات الأفدنة بناحية – دسوق – وآلاف المواشى. ثم قام فريـد باشـا وتوجـه إلى المكتبة أمامه وأخرج حجة وقع – بالتشديد – عليها فى الجهة اليمنى محمد على باشا بختم يؤيد هذه الهبة.

قلت لفريد باشا مداعبا – وقيل الدعابة – فقد كان واسع الصدر.

قلت:

– هل هذا هو سبب المثل الشعبى.

– تروح فين يا زعلوك بين الملوك؟

وأنه تحور فى النطق قليلا.

وبكل رحابة الصدر والسماحة وسعة الأفق قال وهو يضحك.

– جايز.

④ فى عام ١٨٩٤

فى قفص اتهام واحد:

ثلاثة باشوات.. وست سودانيات وعربجى !

بريطانيا بلادنا عام ١٨٨٢.

احتلت

وأصبح للأجانب امتيازات فلا يحاكمون أمام محاكمنا. بل أمام محاكم خاصة بهم.

ولم تتحرر مصر من الاحتلال البريطانى إلا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

وكان سيد البلاد هو رجل بريطانيا مثل اللورد كتشنر.

أما حاكم البلاد فلم يكن سوى موظف لدى الانجليز بدرجات مختلفة باشا أو أمير أو ملك أو خديو.

فى هذا المناخ جرى مايلى وكان سيد البلاد الصورى الخديو عباس حلمى الثانى.

ولا تندهش لما جرى فأنت تعيش زمنا غير الزمن وقد مضى على ما جرى ما يزيد على قرن من الزمن.

فى عام ١٨٩٤ انعقد مجلس عسكرى عالٍ - بريطانى لمحاكمة عدد من وجهاء وأعيان مصر المحروسة.

القضاة إنجليز والنيابة أيضا. أما المحامون فمصريون.

التهمة كانت شراء جاريات سودانيات.

وكانت مصر وقعت على معاهدة حظر الاتجار فى الرقيق عام ١٨٧٧ وسمحت المعاهدة بفترة سماح لمن لديه جوار لمدة ١٢ سنة للتصرف فيهن.

والمعروف أن من يمتلك جارية أو عبدًا يصبح السيد وله عليها أو عليه حقوق الملكية، تماما كما لو كان حصانا أو جاموسة أو خروفا..

المتهمون فى هذه القضية، هم على باشا شريف رئيس مجلس شورى النواب والدكتور عبد الحميد بك الشافعى من الأعيان وحسين باشا واصف مدير أسيوط السابق وعضو مجلس شورى النواب ومحمد باشا الشواربى من أعيان قليوب.

□□□

وإليك التفاصيل

تاجر الرقيق اسمه شفلوط حضر من واحة سيوه ومعه عدد من الجاريات لبيعهن فى مصر المحروسة.

أما الجاريات السودانيات فهن.. حليمة.. سعيدة.. مراسيله.. فاطمة.. زنوبة.. مريم.. رسا بهن النخاس فى عزبة نصار بجوار

أهرام الجيزة لكنه لم يكن قادرا على الشراء واكتفى بأن يبتن عنده على السطوح.

أحد مرشدى البوليس اسمه بطران - ويعيش بجواره - شم الخبر فتوجه إلى النخاس وأفهمه أن أمره انكشف فدس فى يده بعض النقود وعاد أدراجه وكأن شيئا لم يكن.

سمسار يهودى اسمه إبراهيم منير وهو صاحب ورشة سيارات. ذهب النخاس إليه فأخذه إلى على باشا شريف الذى اشترط أن يعاين البضاعة ابتداء. وأحضر السمسار «عربة كارو» نقل بها البضاعة. ووقع اختيار شريف باشا على ثلاث دفع ٦٠ جنيها ثمنا لهن وانتقل النخاس والسمسار اليهودى إلى الدكتور عبد الحميد الشافعى ومنه إلى حسين باشا واصف وإلى محمد باشا الشواربى وانتهت الصفقة.

واستراح الجميع. النخاس الذى نجح فى بيع الصفقة فى سرية تامة. والمشترون كانوا سعداء. وأيضا الجاريات السودانيات فقد أقمن بعد طول عناء من وعثاء السفر وأصبحن فى قصور فيها راحة وطعام جيد ونوم على فراش.

□□□

لكن هذا الاطمئنان كان مؤقتا إذ سرعان ما أبلغ المرشد - بطران - مصلحة محاربة تجارة الرقيق بما لديه من معلومات.

وكانت الإجراءات شديدة بالنسبة للذين اشتروا الجوارى. ولم يشفع لشريف باشا أنه رئيس لمجلس النواب. بل ولم يقبل القنصل الإنجليزى أن يسمح له بالاتصال برئيس الحكومة نوبار باشا.

إنجلترا لم تكن على علاقة حسنة بشريف باشا وأرادت أن تضربه فى مقتل وأن تكيد له كيدا فتفضحه فقام الضباط الإنجليز التابعون لمصلحة محاربة الرقيق بالقبض على النخاس وبعد إجراء اللازم من التعذيب البدنى الوحشى اعترف بما اقترف وكان اعترافه تفصيليا.

وُوجه شريف باشا والشواربى باشا وحسين باشا واصف والدكتور الشافعى بما قرره النخاس فى اعترافات ضدهم.

انعقد المجلس العسكرى. وقدم المتهمون للمحاكمة ومعهم – النخاس – الذى جلب الجوارى وكذلك العربجى الذى نقلهم بعربته وأيضا السمسار اليهودى الوسيط فى العملية.

دفاع المتهمين من الباشوات ينحصر فى نقطة قانونية هى أن الإثم هو الاتجار فى الرقيق فقط أما الشراء فغير معاقب عليه وأن الاتهام ينحصر فى النخاس فقط وليس بالنسبة للمشترين. لأن المشترى يقدم خدمة للجارية، إذ تنتقل من حياة قاسية تعانى شظف العيش إلى رغده، وكان الحكم ببراءة كل من الشواربى باشا وحسين باشا وواصف باشا أما الدكتور عبد الحميد شافعى فقد

أدين بحبسه خمسة شهور. وهو المتهم الوحيد الذى كان معترفا. أما على باشا شريف فلم يحضر لمرضه. على اثر ذلك استقال على باشا شريف من رياسة مجلس شورى النواب ورد السبب إلى ظروفه الصحية. كما أنه قدم اعترافا بخطه يقرر فيه خطاه وأنه اشترى الجوارى الثلاث بنوع من الإهمال وقد ندم وتاسف على ما بدر منه وطلب العفو والسماح. وقام الخديو بمسامحته وأصدر أمرا بالعفو عنه.

□□□

من طرائف هذه القضية أن على باشا شريف عندما أرادوا التحقيق معه استشكل بأنه يراس أكبر مجلس تشريعى فى البلاد ولا يجوز التحقيق معه بهذه السهولة لكن هذا الطلب رفضه المحقق الانجليزى.

● واستشكل مرة أخرى بأنه رعية إيطالية أى ليس مصريا وأنه يتمتع بالحماية الأجنبية. وكانت الامتيازات الأجنبية قائمة. وحضر القنصل الايطالى وتم الإفراج عنه لهذا السبب.

وكان وضعا مؤسفا. رئيس مجلس شورى النواب يطلب الحماية من دولة أجنبية بدعوى أنه ليس مصريا. ويتستر خلف جهة أجنبية لحمايته.

● كما أن الجوارى بعد أن حصلن على شهادات بالعتق من المصلحة البريطانية لم يجدن أمامهن مكانا للتوجه إليه سوى أماكن أسيادهن الذين كن جوارى لديهم.

ولم يكن فى ذلك أى مخالفة فهن لا يعرفن أحدا إلا من أقمن عندهم ووجدن الطعام الجيد والدفء وقبل ذلك الأمان. ووداعا لأيام النخاس وصوته الغليظ وسوطه اللاسع.

⑤ فى عام ١٨٩٨

••• وللملوك أيضًا جرائم !

الملكية. وما أدراك ما القصور الملكية؟

القصور هذه المبانى التى بنيت باقتدار وفيها الفخر والعجب والمباهاة وبغير اكتراث كم تتكلف. وبالتالى فإن غرف القصر تعد بالمئات. وماء الذهب يطلى مقابض الأبواب ونقوش على الحوائط والسقوف.

هذه المبانى الضخمة تحوى من الأخبار والأسرار مالا يتصوره أى كاتب، لأن الحقيقة أحيانا تفوق الخيال. فالجو به عطور وخمور وبخور وفى كل جانب وساوس ودسائس.

أكثر هذه الأسرار عن العشق والغرام والهيام وهو أمر عادى وطبيعى. فمجتمع هذا أمره خليط من الأمراء ومن هم أقل درجة منهم إلى الحريم من زوجات وحلائل وجوار ومحظيات إلى الخدم من الطواشى – الخَصىّ –.

كل هؤلاء يعيشون فى جو المؤامرات. بعضها محبوك ونافع. وبعضها خائب طائش. والكل حريص على إرضاء الحاكم ومن والاه من أتباع. وإلا وجد نفسه – لو أحسنوا إليه – فى الطريق العام لأن العقاب المعروف هو قطع الألسنة قبل قطع الرقاب.

هذه القصور المليئة بالألغاز والمؤامرات ماذا تم فيها من حوادث وإجرام؟

أيام الملك فاروق اصطفى له حرسًا حديديًا من رجال أشداء. بعضهم ضباط ينتمون إلى القوات المسلحة. وبعضهم مدنى يقومون على أمرين:

- حراسته فى مشاويره الخاصة كالسهر فى الأوبرج وحلمية بالاس.
- التخلص الجسدى من خصومه.

وأشهر الحوادث الأخيرة:

اغتيال عبد القادر طه وهو ضابط بالحرس الملكى واغتاله الحرس الحديدى فى حى الروضة بشارع المقياس. واغتيال الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين على باب مبنى الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى رمسيس الآن.

وتم ذلك ليلة ١١ فبراير عيد ميلاد الملك فاروق.

بعد اغتيال حسن البنا انتقل البوليس وعاين الحادث وقيده ضد مجهول.

إلا أنه بعد قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٣ بدأ كشف غموض الحادث. وقبض على الفاعلين وهم الأميرالاى محمود عبد المجيد الذى كان

رئيسًا للمباحث الجنائية - ورقى بعد الحادث مديرا لمديرية قنا - وثلاثة من المخبرين.

توجد واقعة أخرى فى عهد الملك فاروق ولكن الذى قام بها لم يكن الحرس الحديدى السرى ولكن كان ياوره (ع. باشا. ف).

حظيت فتاة متزوجة من ضابط بإعجاب الملك وكان لاحظها أثناء إحدى سهراته وتقصى أمرها وعرف من هى.

صدرت تعليمات وأوامر إلى زوجها بالسفر خارج القاهرة، وفى المساء توجه الملك إلى منزل الضابط ودخل المنزل ووقف ياوره العسكرى على الباب.

لأمر غير معروف حضر الضابط الزوج ولعل احدا وشى له بما جرى.

ياور الملك اعترض الضابط الزوج من دخول منزله وتشابكا ووقع الزوج على الأرض وحاول إخراج «طبنجته» إلا ان الحرس الملكى كان أسرع فى قتله.

هذا عن عهد آخر ملوك الأسرة العلوية فماذا عن الأسرة العلوية نفسها؟

من أشهر أعمال محمد على باشا مذبحة المماليك فى القلعة وكانت عام ١٨١١ والتى تخلص فيها فى ليلة واحدة من كل المماليك فى البلاد.

فى تقديرى الخاص أن ذلك يدخل فى ايجابيات محمد على. فهؤلاء المماليك كانوا يسومون الشعب المصرى سوء العذاب. ويحصلون منه على مالا يستحقون. ويعاملونه أسوأ المعاملة وبالتالى كان القضاء عليهم فيه راحة للمصريين إذ تنفسوا الصعداء.

لكن الخطأ الكبير الذى وقع فيه محمد على هو الإساءة إلى السيد عمر مكرم الذى تولى تنصيبه واليًا على مصر فلما اختلفا حول أطيان المماليك التى قتل أصحابها وكان رأى السيد عمر مكرم أن تئول إلى بيت المال أما محمد على، فرأى – ونفذ – أنها تؤول إليه شخصيًا.

عند هذا الخلاف أمر محمد على بنفى عمر مكرم إلى دمياط مكبلاً بالحديد وظل هناك حتى مات.

□□□

فى عهد إسماعيل حدث حادث جنائى شنيع إذ تخلص إسماعيل من شقيقه الأكبر الأمير أحمد رفعت. فقد ركب قطارًا من الاسكندرية عائدا إلى القاهرة. وتخلف الخديو إسماعيل عن الركوب عمدا. وسقط القطار فى نهر النيل عند كفر الزيات ونجا السائق فقط وبلع نهر النيل الأخ الأكبر أحمد رفعت. وكان ذلك عام ١٨٥٩ وبذلك

خلا الجو للأمير إسماعيل ليصبح خديوى مصر بعد أن توفى سعيد باشا ابن محمد على. وكان نظام الملك أن يتولاه أكبر الأبناء سنا، وكان إسماعيل بعد قتل أحمد رفعت هو أكبر الأبناء سنا.

بعد ذلك حصل الخديو إسماعيل - بعد أن دفع رشاوى مالية كبيرة للمسئولين فى تركيا - على فرمان بأن ينحصر الحكم فى أولاده هو.

فى حياة الخديو إسماعيل أيضا حادث جنائى بشع: كان له أخ فى الرضاعة هو إسماعيل باشا صديق الذى عرف فى التاريخ باسم إسماعيل باشا المفتش. وكان أبوه يعمل فى جراج القصر ونجحت أمه عند ولادته أن تكون أيضا مرضعة الخديو إسماعيل.

تربيا أخوين صديقين بينهما محبة وألفة وإذ تولى الخديو إسماعيل الحكم أطلق يد إسماعيل باشا فى أملاكه وتسديد ديونه وفجأة غضب عليه وهناك أكثر من رواية عن السبب.

فى إحدى الليالى..

الخديو إسماعيل دعاه ليقابله فى أحد قصوره - الماريوت الآن - وتوجه إسماعيل باشا ولم يتوجه الخديو. وفوجىء الأول برجال أشداء يعتدون عليه بالضرب والبصق فى الوجه. ثم شدوه إلى مركب فى النيل وأودع حيا داخل «شوال» ووضعت معه عدة

أحجار ثقيلة وبينما المركب سائر ألقوا «الشوال» بمن فيه فى النيل.

وبلعه النيل كما بلع من قبله آلاف الأسرار.

□□□

واقعة أخيرة مشهورة هى الاعتداء على الأمير أحمد فؤاد وكان متزوجا من الأميرة شويكار وهى ابنة الأمير إبراهيم ابن الأمير أحمد رفعت ابن إبراهيم باشا.

أحمد فؤاد هو ابن الخديو إسماعيل وقد أساء معاملتها أو ادعت عليه ذلك أنه يؤذيها ويعتدى عليها بالضرب.

اشتكت شويكار إلى شقيقها الأمير سيف الدين وكان من عادة الأسر المالكة أن تسهر ليلا فى الكلوب الخديوى وهو نادى محمد على والآن أصبح نادى التحرير.

توجه الأمير سيف الدين بعد أن احتسى كمية من الخمر إلى النادى وانتظر الأمير أحمد فؤاد لكنه لم يحضر حتى ساعة متأخرة من الليل.

فى اليوم التالى تقابلا وبعد مشادة أطلق سيف الدين الرصاص على الأمير أحمد فؤاد وأصابه فى حلقه لكنه نجا من الموت.

وكان ذلك فى عام ١٨٩٨. وجرى تحقيق شكلى مع الأمير سيف الدين. وقيل عنه إنه مختل عقليا. وبالتالى كان القرار بسفره إلى

اسطنبول ليدخل مستشفى المجانين هناك فترة قصيرة ثم يخرج. ولكنه عاش منفيا ولم يعد إلى مصر. خصوصا أن جميع أملاكه الزراعية والعمارات قد صودرت.

أجريت للأمير أحمد فؤاد عملية جراحية عاجلة لاستئصال زوره ووضع له زور صناعى، الأمر الذى جعله يعانى كثيرا من الكلام ويبدو ذلك عليه إذا أصيب بكحة.

قام الأمير أحمد فؤاد بتطليق شويكار بعد أن نجا من الحادث. وكان أنجب منها ابنة هى الأميرة فوقية زوجة محمود باشا فخرى سفيرنا فى باريس عدة سنوات.

⑥ فى عام ١٨٩٩

فى نادى محمد على :

تبادل إطلاق الرصاص بين الأمراء !

عندما نتحدث عن الأسرة المالكة أى الأسرة العلوية نسبة إلى محمد على باشا يجب أن نعرف أن خلافا شديدا وقع بين أفراد هذه الأسرة ودفعها إلى التفكك. وهو الخلاف على عرش مصر المحروسة.

وهذان خلافان مختلفان فى التاريخ وفى السبب.

- الأول هناك من أفراد الأسرة المالكة من يرى أن إبراهيم باشا ليس ابنا لمحمد على باشا. ولكنه ابن زوجته وبالتالى فإن نسل إبراهيم باشا مغتصبون للحكم ولا يستحقونه. وسبب هذا القول أن أم إبراهيم باشا عندما جاءت مصر لتتزوج من محمد على باشا كانت أصلا متزوجة من غيره.

وسبب آخر كان إبراهيم باشا قريبا من سن محمد على باشا.

ذكر هذا كريم باشا ثابت فى كتابه - محمد على باشا - الذى صدر فى عهد فاروق.

ذكر ذلك ثم عاد على الفور وأنكر هذا الزعم وقال كريم ثابت:

هذه الإشاعة كان مصدرها قنصل فرنسا، ولم تكن صحيحة لسبب أن الحب الذى منحه محمد على باشا لإبراهيم باشا لا يصدر إلا عن أب وليس عن زوج أم. فضلا عن أنه ترك له الحكم فى حياته.

سبب آخر ذكره كريم ثابت أن الشبه كان قريبا بين الاثنين أى محمد على وإبراهيم.

من الذين تبنوا هذا الرأى من الأسرة المالكة من ينتسبون إلى فروع طوسون وحليم وداود.

هناك أيضا خلاف شديد وقع ودب بين أفراد الأسرة المالكة وبين من ينتسبون إلى فرع واحد هو نسل إبراهيم باشا.

هذا الخلاف سببه المقولة التى ترددت أن إسماعيل قد دبر حادث مقتل شقيقه الأكبر أحمد رفعت فى حادث القطار الذى نزل فى النيل عند كفر الزيات ليخلو له الحكم.

فعل إسماعيل ذلك لأن الفرمان الصادر أيامه كان أن الملك يئول إلى أكبر أفراد الأسرة وكان أحمد رفعت أكبر منه وبعد اختفائه أصبح إسماعيل هو أكبر الأمراء.

معروف طبعا أن إسماعيل بعد توليه الملك سعى لدى السلطان عبد العزيز – بعد دفع مبالغ طائلة له ورشوة رجال القصر – أن يصدر فرمانا أن الحكم يئول إلى نسل إسماعيل نفسه وليس لأكبر أفراد الأسرة المالكة.

بعد تولى نسل إبراهيم باشا الحكم كان أعضاء الأسرة المالكة من الأفراد الآخرين مثل طوسون وغيره يرون أن الحكم اغتصب منهم اغتصابا وانتقل إلى ورثة إبراهيم باشا. ويرون أنه ليس ابن محمد على باشا بل هو ابن زوجته.

ووفاة الابن أحمد رفعت وغرقه فى النيل أصبح ورثته أيضا يرون أن الملك اغتصب منهم اغتصابا وانتقل إلى ورثة إسماعيل وتعداهم.

من أبرز الفروع الذين ناوشوا فرع إبراهيم باشا فرع حليم ومنهم الأمير عباس حليم الذى كان يجاهر بأن الملك - بالضم - قد خرج عن عائلة محمد على باشا إلى ابن زوجته.

ومن أبرز الفروع التى ناوشت فرع الخديو إسماعيل الأمير سيف الدين وهو من نسل الأمير أحمد رفعت الذى توفى غرقا ويرى ورثته أن ذلك نتيجة حادث جنائى مدبر.

□□□

ولأن أحمد فؤاد الذى صار السلطان أحمد فؤاد والذى انتقل إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد تزوج من الأميرة شويكار.

كان أحمد فؤاد أصغر أولاد الخديو إسماعيل اشتهر فى الأوساط الأميرية بأنه أمير مفلس ودائم الشراب حتى السكر. فضلا على أنه-

كل مساء – عضو على مائدة القمار فى القصر الموجود حاليا تحت اسم نادى الدبلوماسيين وكان اسمه من قبل نادى محمد على وكان من قبل النادى الخديو.

صحيح كان أحمد فؤاد أميرا وينتسب إلى الأسرة المالكة لكنه غير متعلم. ويميل للفقر بالنسبة لقرنائه من الأمراء وهناك روايات تحكى: إنه كان يقترض أحيانا من خادمه إدريس أجر– الحانطور – الذى ينقله كل مساء من – الكلوب – إلى قصره.

إدريس هذا بعد أن تولى فؤاد السلطة وأصبح ملكا كان له شان كبير فى السرايا متحكما فى كثير من الأمور إذ أصبح له دلال على سيده الملك فؤاد.

الجهل والفلَس وغياب العقل نتيجة إدمان الخمر هذه الأمور أوصلت فؤاد إلى نوع من الشره إلى المال.

كان أمامه زوجته شويكار ثرية إلى حد كبير استطاع – تارة بالحيلة والسياسة وأخرى بالقوة إلى درجة الضرب بالكرباج– الاستيلاء على مالها.

ملّ من كثرة مطالبته لها كل مساء بأن تمده بما يحتاج من المال فلجأ إلى أن تعطيه توكيلا عاما فى التصرف ففعلت. وعندما اكتشفت أنه يبيع بعض ما تملك لجأت إلى إلغاء التوكيل.

عندما أبلغه قلم كتاب المحكمة بان التوكيل الذى لديه قد ألغته صاحبته كانت ليلة سوداء على شويكار. انهال عليها ضربا بالكرباج وهى تصرخ - ولا من مجيب - وعندما انصرف ليلا من المنزل. سارعت بالهرب إلى شقيقها الأمير سيف الدين وباتت لديه ليلتها واشتكت له مما جرى لها على يد فؤاد.

□□□

ولما أصبح الصباح وجاء يوم ٧ مايو ١٨٩٨ كان القدر يعد للأسرة المالكة دراما من نوع ما شديد اللهجة وهو إطلاق الرصاص.

وما إن غابت الشمس حتى كان الأمير سيف الدين قد ملأ معدته بكمية من الخمر ومسدسه بالرصاص ودماغه بأفكار سوداء.

توجه إلى نادى محمد على وكان اسمه أيامها النادى الخديوى وأخذ يبحث عن أحمد فؤاد.

الأخير عندما يذهب إلى النادى كان يلعب البلياردو فترة قليلة ثم يعكف على الشراب مع لعب القمار حتى ساعات متأخرة من الليل.

حوار قصير تبادلا فيه الشتائم باللغة الفرنسية ثم أخرج سيف الدين مسدسه وأطلق على أحمد فؤاد ثلاث رصاصات.

أخرج فى المقابل فؤاد مسدسه من جيبه الخلفى وحاول إطلاقه لكنه خيب ظنه فقد كان خاليا من الرصاص.

ثم حاول سيف الدين الهرب لكن منعه الحاضرون.

ولى العهد فيما بعد – السلطان حسين كامل – علق على ما جرى قائلاً:

– فى أسرتنا أى الأسرة المالكة.. من هو سكير.. ومن هو نصاب.. ومن هو مقامر ولكن كنا نظن أنه ليس بيننا قتلة وسفاحون.

بعد أن تماثل فؤاد للشفاء كان أول قرار هو تطليق الأميرة شويكار وكان قد أنجب منها الأميرة فوقية.

تحدث الناس فى مصر يومها بالشماتة فى الأمراء.

□□□

حوكم سيف الدين ودفع محاموه بأنه مختل عقليا ولم يكن يقصد القتل ولكن التهويش فقط.

ثم استطاعت أسرته أن تنقله إلى الخارج ليودع مستشفى المجانين بالآستانة فترة ثم يخرج منها ولكنه لم يعد لمصر.

لم يبق من ذكرى الأمير سيف الدين سوى عمارات شهيرة فى شارع قصر العينى.

أما الأميرة شويكار فقصرها الشهير الذى عاشت فيه فترة طويلة تحتله الآن رئاسة مجلس الوزراء وقد تم ذلك أيام النظام الملكى

وليس بعد ثورة يوليو كما يتبادر إلى الذهن إذ اشترته منها الحكومة المصرية فى عهد الملك فاروق بمبلغ كبير.

قبل أن أختم.

هناك من يرى أن محاولات الأميرة شويكار إفساد الملك فاروق فى أيامه الأخيرة كانت انتقاما من أبيه الذى أساء إليها وكذلك من جده الذى قتل جدها بإغراقه فى النيل عند كفر الزيات.

ولكن ما تقدم يعتبر أحد فصول المأسى التى عاشتها الأسرة العلوية التى بدأت بمحمد على باشا وانتهت بالملك فاروق الأول والأخير.

⑦ فى يوليو ١٩٠٤ ..

الزواج باطل لأن الزوج صحفى !

ابتداء هل نقول صَحفيا نسبة إلى صَحيفة أو نقول صِحافيا نسبة إلى الصُحافة؟

الإجابة: كلا الرأيين صواب.

□□□

فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى كان للشيخ عبد الخالق السادات – وهو من الأشراف أى الذين ينتسبون إلى بيت سيدنا رسول الله ﷺ – أكثر من ابنة. إحداهن متزوجة من السيد محمد توفيق البكرى شيخ السادة البكرية وهم الذين ينتسبون إلى سيدنا أبو بكر.

ابنة أخرى للسيد عبد الخالق السادات تدعى صفية، وهى موضوع حديثنا، كانت ذات جمال، وهام بها حبا الشيخ على يوسف.

الشيخ على يوسف رئيس تحرير مجلة المؤيد وهى مجلة لا تصدر بانتظام لكثرة تعطيلها بأمر السلطات البريطانية التى احتلت مصر منذ عام ١٨٨٢.

الشيخ على يوسف رأى صفية عبد الخالق السادات فى منزل شقيقتها وزوجها السيد البكرى أحد أصدقائه الحميمين، فأعجب بها وتمنى زواجها إلا أن والدها رفض ذلك وصمم على رأيه.

فى هذا الوقت وكان فى عام ١٩٠٤ نشرت مجلة اسمها «الصاعقة» قصيدة فيها هجوم على الخديوى تقول القصيدة:

قدوم ولكن لا أقول سعيدُ وملك وإن طال المدى سيبيدُ

وفى رواية أخرى تقول الشطرة الثانية:

وعود ولكن لا أقول حميدُ

القصيدة كان فيها إسقاط على الخديوى الذى عاد من السفر ولم تكن مُوقّعَة – أى غير معروف مؤلفها – وعلى رغم ذلك حامت الشبهات واتهمت السلطات السيد البكرى أنه هو الذى نظم هذه القصيدة.

الشيخ على يوسف وقف إلى جوار صديقه الشيخ البكرى ونفى عنه هذا الاتهام. بل أكثر من ذلك اعترف أنه لا ينظم الشعر ولا يستسيغه.

الشيخ توفيق البكرى حمد لصديقه موقفه وكان على علم بمدى حب الشيخ على يوسف لشقيقة زوجته صفية عبد الخالق السادات.

وبعد صلاة العصر وكانت صفية فى زيارته استدعى الشيخ على يوسف وأحضر المأذون الشرعى وطلب منه عقد قران الشيخ على يوسف على صفية السادات. وقام بتوثيق العقد وشهد عليه السيد توفيق البكرى. ووضعوا السيد عبد الخالق السادات أمام الأمر الواقع، وعلم بما جرى فتأزم لكنه لم يسكت.

□□□

أقام الشيخ السادات دعوى قضائية ضد الشيخ على يوسف مطالبا بفك هذا الارتباط وإنهائه بينه وبين زوجته التى هى ابنته.

استند فى دعواه إلى عدم تكافؤ الزوج مع الزوجة، فالزوجة سليلة الحسب والنسب ومن الأشراف، أما الزوج فهو (طالب أزهرى لم يكمل تعليمه، وصناعته الكتابة، وهى حرفة غير محترمة، وهو من قرية بلصفورة التابعة لمديرية سوهاج ووالده كان يعمل أجيرا).

الصحافة تناولت القضية بالتفاصيل، وكانت تنشر ما يجرى فى جلساتها المتعددة. ومن بين ما قيل هجوما على الشيخ على يوسف شعرا جاء فيه:

أتاه الغرام فى سن الكهولة فجن جنونًا ببنت النبى

محامى الشيخ على يوسف كان الأستاذ حسن صبرى الذى أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء مصر وتوفى فى مجلس النواب أثناء إلقائه خطبة العرش.

أما الشيخ السادات فكان محاميه الأستاذ محمد عز العرب الذى أصبح فى تاريخ لاحق نقيبا للمحامين الشرعيين.

تعددت الجلسات وكان كلٌ من الطرفين يقدم مستندات تناقض مستندات الطرف الآخر وانتهت هذه الجلسات وكان قاضيها الشيخ أحمد أبو خطوة، وحكم فى يوليو من عام ١٩٠٤ بالتفريق بين كل من الزوج الشيخ على يوسف وزوجته السيدة صفية عبد الخالق السادات التى خرجت من بيت الزوجية إلى بيت أبيها مكسورة الخاطر غير راضية بالحكم.

استند التفريق إلى عدم كفاءة الزوج بالنسبة للزوجة من ناحية النسب.

□□□

وكان الرأى العام يهتم اهتماما كبيرا بهذه القضية، وكان الناس ينقسمون إلى فريقين: فريق يرى أن الشيخ السادات على حق فيما فعل، وفريق آخر كانوا ينكرون عليه ذلك.

بل وكانت بعض الجماهير تكتظ على باب المحكمة وتسب الشيخ على يوسف على ما قام به مخالفا للشريعة الإسلامية.

□□□

من أغرب الأمور أنه لم يمض عام تقريبا حتى عادت السيدة صفية إلى زوجها وذلك بناء على طلبها ولكن هذه المرة بمباركة والدها.

حدث هذا عام ١٩٠٤ ونحن الآن فى عام ٢٠٠٣ ويدور الزمن وتجرى الأيام وتتوالى الليالى ويصبح الصحفى أو الصحافى له مكانة عالية يحسده عليها كثيرون.. حتى ولو كانوا من أصحاب الحسب والنسب.

□□□

مما يذكر أن السيد عبد الخالق السادات وكذلك إخوته لم ينجب أحد منهم ذكورا، بل إناثا. وبالتالى فكل من ينتسب إلى أسرة السادات فهو من البطون وبالتالى لا يحمل اسم السيد السادات أحد الآن.

(٨) فى عام ١٩٠٦

محكمة تنعقد فى قرية صغيرة يطير اسمها إلى أوروبا

إحدى قرى المنوفية أهلها ينطقونها – دنشية – اسمها دنشواى – تمتاز عن غيرها بالعديد من أبراج الحمام تستقبلك إذا وصلت إلى أول حدودها.. هذه القرية الصغيرة دخلت التاريخ السياسى للبلاد، فيها وقعت حادثة فقد توفى ضابط بريطانى – من أثر ضربة شمس وجرح ضابط إنجليزى آخر.

والقصة من أولها.

أراد بعض رجال جيش الاحتلال التسلية باصطياد الحمام وذلك بإطلاق النار عليه.

إحدى الرصاصات الطائشة بدل أن تصيب حمامة أصابت أجران القمح، ونتج عن ذلك حريق. وكان أمرا عاديا وطبيعيا أن يتجمع رجال القرية يذودون عن ممتلكاتهم فكانت مطاردة ضباط جيش الاحتلال، فأصيب واحد بضربة شمس ووقع الثانى على الأرض مغشيا عليه من الإجهاد.

جيش الاحتلال أراد أن يؤدب هذه القرية التى تمردت على أسيادها الإنجليز المحتلين لبلادنا منذ عام ١٨٨٢.

تحديدا فى ٢٨ يونيو ١٩١٣ أى فى عز الصيف.

انعقد مجلس عسكرى عالى لمحاكمة المتهمين والقضاة هنا مصريون.

الحكم كان بين الاعدام والجلد.

المتهمون: محفوظ ويوسف وسليم ودرويش وزهران..

الشاعر صلاح عبد الصبور سجل ما جرى فى دنشواى على لسان زهران بقصيدة معروفة «كان زهران غلاما»..

المحكمة التى حاكمت المتهمين شُكلت بأمر الانجليز رئيسها كان بطرس باشا غالى رئيس الوزراء فيما بعد والذى اغتاله بعد ذلك الوردانى أما عضو المحكمة الذى كتب الأحكام فهو فتحى زغلول شقيق الزعيم سعد باشا زغلول أما المدعى العام فكان إبراهيم الهلباوى أشهر المحامين أيامها لكنه بدلاً من أن يكون محاميا عن المتهمين كان ضدهم.

يقول الهلباوى دفاعا عن نفسه فيما بعد: إنه كان يود الذهاب للدفاع عن المتهمين لكن مصطفى باشا فهمى رئيس الوزراء وهو صهر سعد باشا زغلول استدعاه إلى مكتبه وقال: إن الحكومة قررت أن يترافع ضد المتهمين.

الزعيم مصطفى كامل تكفل بإثارة الرأى العام ضد بريطانيا والمستعمر الجبار الذى لا يعرف الرحمة ولا الحضارة فاشعلها نارا فى صحف أوروبا وخاصة فرنسا ضد تجبُّر الإنجليز.

كان موقف الهلباوى موقفا مزريا وقد حاول أستاذنا المستشار عبد الحليم الجندى أن يدافع عن أستاذه الهلباوى فى كتابه -

محامون – فبرر ذلك بأن موقف الهلباوى كان محاولة منه للتخفيف عن مواقف فلاحى دنشواى.

لكن الصحف أيامها - وقد نشرت بعضا من كلام الهلباوى - لم تكن تسير فى هذا الاتجاه فقد مدحت الإنجليز بما لا يستحقون وهاجمت الفلاحين المتهمين بما لا يستحقون.

جدير بالذكر أن هذه الوقائع وهى وقائع قضايا وحوادث جنائية قد سجلها الشعر «وسلق» كلا من فتحى زغلول وكذلك الهلباوى بألسنة حداد.

بعد هذا الحادث أقام بعض رجال وزارة العدل – وكان اسمها الحقانية – أقاموا حفل تكريم لفتحى زغلول فقد ترقى وكيلا للوزارة ومكان الاحتفال كان لوكاندة شبرد.

قال الشاعر شوقى.

إذا ما جمعتم أمركم وهممتوا
بتقديم شىء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة
وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تعرضوا شعرى عليه فحسبه
من الشعر حكم خطه بيمين
ولا تقرءوه فى شبرد
بل اقرءوه على ملأ فى دنشواى حزين

أما حافظ إبراهيم فقد تولى إبراهيم الهلباوى فقال فيه.

أيها المدعى العمومى مهـــــلا
بعض هذا فقــد بلغـت المـــرادا
أنت جـــلادنا فــلا تنســـى
إننا قد لبسنا على يديك الحدادا

وتحول اسم إبراهيم الهلباوى إلى جلاد دانشواى.

صحف الحزب الوطنى وبلسان الشيخ عبد العزيز جاويش الذى كتب يقول فى عام ١٩٠٦ فى ذكرى دنشواى..

اتهم الهلباوى بالعمالة لصالح المستعمر البريطانى كما هاجم بطرس غالى وفتحى زغلول وقال:

.. أصبح يشق علينا وجودهم على سطح الأرض ورؤيتهم على الابصار وصوتهم على المسامع وذكرهم على الألسن وذكراهم فى الصدور.

حاول بعدها الهلباوى بك أن يكفر عن خطئه بل خطيئته فعندما اغتال إبراهيم الوردانى بطرس باشا غالى رئيس الوزراء وكان لقبه أيامها – رئيس النظار – تطوع الهلباوى ليترافع عنه.

كانت وجهة نظر الوردانى ضد بطرس غالى أنه:

- رأس محكمة دنشواى.
- كان يريد مد امتياز قناة السويس.

وكان الشعب يغنى للوردانى.. ياميت صباح الفل على الوردانى..

جولوا لعين الشمس ماتحماشى أحسن غزال البر صابح ماشى.

وقف الهلباوى يدافع عن الوردانى ويقول: إن الجريمة سياسية بل وطنية.

وقوف الهلباوى إلى جوار الوردانى لم يشفع له دفاعا عن ماضيه ولم يمسح عنه اسم جلاد دنشواى.

ربما فاتنى أن أحكى قليلا عن شيخ المحامين إبراهيم الهلباوى وهو من - العطف - محافظة البحيرة.. وهى غير - العطف - محافظة جيزة.

وكان طويل القامة واللسان هذا الأزهرى الذى لم يكمل دراسته الأزهرية. ثم اشتغل بالمحاماه ولم تكن فى ذلك الوقت تتطلب شهادة. كان الحوار أحيانا يدور فيقول رجل ساقتل فلانا وأصيب الهلباوى كناية عن مقدرة الهلباوى للحكم ببراءة من يقف معه وفى المطاعم أيامها كان يوجد - المسمط - ويقدم للزبون - لسان - ويستكثر الزبون الثمن فيصيح فى البائع:

- يعنى هو لسان الهلباوى.

كان منافسه سعد زغلول وكان يحز فى نفسه أن سعدًا أنعم عليه بالباشوية أما هو فلم يصل إلى ذلك لكنه حاول أن يدخل من باب الزواج من بعض الجوارى إلى القصور ولكن لم يصل إلى مراده.

وقد وصل سعد زغلول إلى قلب الشعب المصرى فأصبح بلا منازع زعيم الأمة أما الهلباوى فقد انضم إلى حزب الأقلية حزب الأحرار الدستوريين وبالتالى فقد حرم من الشعبية التى تمتع بها سعد باشا.

صحيح بلغ الهلباوى الذروة لدى الناس فى مرافعاته لكن كل هذا المجد مسحه عندما اختار الوقوف ضد الشعب فى محاكمة الفلاحين بقرية دنشواى.

⑨ فى عام ١٩٢٢

نجاة عدلى يكن وعبد الخالق ثروت واغتيال آخرين خطأ

فى حدود عام ١٩٢٠ تشكل حزب سياسى يحمل اسم - الأحرار الدستوريين. وقام على أكتاف عدلى باشا يكن وعبد العزيز باشا فهمى ولطفى باشا السيد وأسرة عبد الرازق باشا ومحمد حسين هيكل باشا.

معظم هؤلاء كانوا وفديين وانقسموا على حزب الوفد وحين نقول الوفد. فنقصد أنهم انفصلوا عن سعد باشا زغلول نفسه.

هذا الحزب كان يقوم على الإقطاعيين من ملاك الأراضى الزراعية وكان يحظى بعطف من القصر الملكى بخلاف حزب الوفد.

فى عام ١٩٢٢ حدث حادث جنائى اهتزت له البلاد وراح ضحيته قطبان من الحزب. والغريب أن ذلك تم خطأ ونجا من كان مقصودا بالقتل.

فى ١٧ نوفمبر من عام ١٩٢٢ كان هناك اجتماع مجلس إدارة حزب الأحرار الدستويين فى شارع المبتديان. وفى حوالى الساعة السابعة مساء سمع المجتمعون صوت فرقعة ظنوها فى بادئ الأمر

صوت «عجلة كاوتش سيارة» ولكن تبعتها عدة أصوات بما ينبئ أنها أصوات طلقات رصاص.

كانت فعلا طلقات من الرصاص صوبت إلى اثنين من أقطاب حزب الأحرار هما حسن باشا عبد الرازق وإسماعيل بك زهدى واختفى الفاعلون ولفهم الظلام.

أصيب الأول داخل سيارته، والثانى بينما كان يهم بركوب سيارته.

خرج كل من كان داخل الحزب يستطلع الأمر والمصيبة التى حلت.

انطلقت سيارة حسن عبد الرازق بسرعة إلى مستشفى على باشا إبراهيم. بينما حمل الرجال إسماعيل زهدى إلى داخل الحزب حيث كشف عليه الدكتور حافظ عفيفى - رئيس الديوان الملكى فيما بعد - وإذ لاحظ سوء حالته والدم ينزف بغزارة نصح بنقله إلى المستشفى على الفور.

نشرت جريدة السياسة لسان حال حزب الأحرار مقالا عن الحادث وكان عنوان المقال - أنتم قتلة الوطن - وحمل فيه المقال على هؤلاء الذين يتهمون أبناء وطنهم كذبا بالخيانة ويحرضون الشباب على ارتكاب الجرائم وفى الوقت ذاته يحرمون الوطن رجالا من أفضل الناس.

انتقل البوليس والنيابة والنائب العام لكن الجريمة قد تمت وحققت غرضها ولم يترك الفاعلون أثرا سوى طلقات نارية فارغة.

أجرى على باشا إبراهيم للمجنى عليهما جراحات لاستخراج الرصاص ولكن القدر لم يمهلهما سوى يومين فاضت روحاهما بعد ذلك.

يقول الدكتور محمد حسين هيكل باشا فى كتابه مذكرات فى السياسة المصرية: إن هذا الحادث لم يفت فى عضد الحزب ولم يؤثر على أحد من رجاله باستثناء فراش مكتب هيكل باشا الشخصى الذى لم يعد للعمل منذ هذا الحادث خوفا من المستقبل.

ويقول هيكل باشا: إن الحزب كان ينصر الحق الذى يخشى خصومهم منه على باطلهم.

حزب الوفد - حزب الأغلبية - والذى كانت تشير أصابع الاتهام إلى أن أحد أتباعه هو أو هم الفاعلون نشر بيانا ولكنه كان خاليا من أية مجاملة أو عطف على المجنى عليهما.

قال بيان حزب الوفد: إنه يستنكر الجريمة أيا كان الجانى وأيا كان المجنى عليه وأيا كان سبب الخيانة.

وقد أثر هذا البيان بهذا الأسلوب التجريدى فى رجال حزب الأحرار.

رجال الأمن العام أخبروا رئيس الوزراء عبد الخالق باشا ثروت أن الوفديين أعدوا لمظاهرة بعد صلاة الجمعة أى بعد أيام قليلة تهتف بسقوط ثروت باشا رئيس الوزراء.

وكان ثمة خلاف قد وقع بين الوزارة وبين الملك فؤاد حتى رأى ثروت باشا تقديم الاستقالة وقدمها بالفعل فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٢ أى بعد الحادث الذى راح ضحيته قطبا الأحرار الدستوريين بعد أقل من أسبوع واحد.

ساعة واحدة مضت وجاء الرد من الملك بقبول الاستقالة شاكرا لها ما استطاعت أن تؤديه من خدمات وكلف توفيق باشا نسيم بتشكيل الوزارة وكان أيضا خصما لحزب الوفد.

□□□

التحريات لدى البوليس دلت أيامها على أن حادث القتل جرى خطأ وأن المقصود كان عدلى باشا يكن رئيس حزب الأحرار وقتها وعبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء.. وقبض على عدد من الأشخاص المشتبه فيهم ثم أفرج عنهم لعدم وجود دليل ضدهم.

الفاعلون غُم عليهم الأشخاصُ الحقيقيون المقصودون وذهب ضحية اثنان من أكبر رجال حزب الأحرار حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى وكان عبد الرازق باشا طويل القامة مثل عدلى يكن وكان إسماعيل زهدى قصيرا مثل ثروت باشا.

حسن باشا عبد الرازق هو عم كل من مصطفى باشا عبدالرازق وزير الأوقاف وشيخ الأزهر فيما بعد. وشقيقه على باشا عبد الرازق وزير الأوقاف فى عهد فاروق. وكان مغضوبا عليه فى عهد أبيه الملك فؤاد إثر نشر كتاب «الإسلام وأصول الحكم» وفصل من عمله كقاض ثم عفا عنه فاروق وعينه وزيرًا للأوقاف مرتين.

أما إسماعيل زهدى فهو ابن عم الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية فى عهد عبد الناصر بعد عام ١٩٦٧.

⑩ فى عام ١٩٢٣

براءة فرنسية اعترفت بقتل زوجها المصرى !

تجمعت جموع غفيرة أمام مبنى محطة مصر انتظارا لوصول جثمان شاب مصرى قتلته زوجته فى إنجلترا.

الأعداد الغفيرة التى سارت فى جنازته كانت تختلف فى مشاربها، كل واحد عن الآخر.

أولا، أقارب القتيل **وثانيا**، عدد من رجال الحزب الوطنى حزب مصطفى كامل نمت معلومة لديهم خاطئة أن الشاب شقيق الزعيم مصطفى كامل **وثالثا**، الجمهور الذى ما إن يجد تجمعا حتى ينضم إليه. وكان البعض فى حماس شديد ضد إنجلترا التى احتلت بلادنا.

الشاب كان على فهمى أو الوجيه على بك فهمى. وأبوه الفريق على باشا كامل من ضباط الخديو العاملين فى القصر.

الأب ترك ثروة طائلة من الأراضى والعقارات. كثير منها بالإسكندرية فى مناطق سيدى بشر وميامى والعصافرة وظلت فترات طويلة تحاط بأسوار يكتب عليها أنه ملك ورثة على باشا كامل.

من شقيقات على فهمى كانت السيدة عائشة فهمى. وإذا كنت داخلا حى الزمالك فعلى يمينك قصر منيف كانت تملكه عائشة فهمى ثم وضعت وزارة الثقافة يدها عليه وكان أول من فعل ذلك دكتور ثروت عكاشة.

وكانت عائشة فهمى كثيرة الزواج فتزوجت مرة من يوسف وهبى وآخر أزواجها كان المنولوجست شكوكو.

من أقارب على فهمى أيضا عائلة. حسين بك عاصم وجدهم كان يعمل أيضا لدى القصر.. وكانت ذريته معروفة فى عهد النظام الملكى الأخير. منهم زوزو عاصم وشوشو عاصم والضابط إسماعيل عاصم وكانوا أيامها نجوما فى المجتمع الراقى وكان يطلق عليه – الهاى لايف.

نعود إلى موضوعنا.

تعود على بك فهمى أن يقضى الشتاء فى مصر. أما الصيف فكان يقضيه فى أوروبا وكان يحيط نفسه دائما بفتيات أجنبيات فاتنات، بعضهن وقع فى غرامهن وآخريات من باب المنظرة والفشخرة.

فى إحدى السهرات وقعت عيناه على فتاة تجلس مع الخواجة – موصيرى – صاحب بنك موصيرى وكانت له به صلة «بسيطة» تعمد فى هذه الليلة أن يقويها.

لم يمض وقت طويل حتى كانت مارى مرجريت فرنسية الأصل أقرب فتاة إلى قلب على فهمى وهى أيضا بادلته حبا بحب إذ كانت لها أطماع مادية وجدتها لديه.

ولم يمض وقت طويل أيضا حتى كان الزواج. بل واشهرت إسلامها بعد أن علمت أنها لو ظلت على دينها المسيحى فلن ترثه فى حالة وفاته.

وظلت علاقة الاثنين حديث المجتمع فلم يكن من عادة على فهمى أن تستقر عواطفه على واحدة فقط.

وكان على فهمى وعلى رغم تيسير إقامته فى أى بلد أجنبى إلا أنه كان يفضل كثيرا المجتمع الإنجليزى ويرى فيه المثل الأعلى للشعوب فى الحياة والعادات والتقاليد.

وكما أن لكل شىء بداية فلكل شىء أيضا نهاية ودوام الحال من المحال. فقد مضت أيام السعادة بين على فهمى ومرجريت وانقلب الحال. فإذا عيونه ترتاح إلى آخريات وعقارب الغيرة تلسع مرجريت.

فى تلك الليلة الحزينة سهرا ومعهما عدد من الأصدقاء، وحدثت مشادة بين الاثنين على المائدة انصرفا بعدها مستأذنين إلى الفندق، وفى بهو الفندق كانت عبارات الشجار تتناثر، ولا يستطيع أحد أن يتبين سبب سوء التفاهم وصعدت مرجريت إلى غرفتها وانتظر على فهمى قليلا فى «اللونج» ثم لحق بها.

عاد الشجار إلى ما كان عليه بصورة أشد وأطلقت عليه النار فأردته قتيلا ووقع على الأرض مضرجا بالدماء.

رجال الفندق استدعوا الأمن والإسعاف الذين لم يستطيعوا فعل شيء وكان المصاب قد لفظ أنفاسه الأخيرة.

الأمن أمسك بمرجريت التى اعترفت بأنها قتلته وقدمت المسدس.

وقالت: إن المسدس مسدسه هو وإنها أرادت مجرد التهويش.. إلا أن الرصاص انطلق منها دون أن تدرى.

وقدمت إلى المحاكمة.

وقف إلى جانبها السير صمويل هول وكان أكبر محام فى بريطانيا أما ورثة على فهمى فقد أوكلوا كمراقبين عبد الرحمن البيلى المحامى الذى أصبح فيما بعد وزير المالية وكذلك الدكتور عبد الفتاح رجائى المحامى والد أستاذنا الدكتور نور الدين رجائى.

مرافعة السيد هول أخذت حيزا كبيرا فى الهجوم على - همجية الشرقى وتأخره ونظرته إلى المرأة، أنها الحريم، وأخذ يستشهد بما كان يجرى فى بلاط السلطان عبد الحميد.

وقال: إن المجنى عليه كان يطالبها بأمور شاذة لم تتعود عليها وكانت ترضخ لرغباته تحت التهديد.

كما قال: إن المجنى عليه كان ينام وتحت الوسادة مسدس محشو بالرصاص لإرهابها.

المحامى قام بتمثيلية هى أن صوب مسدسا فى يده فجاة «ناحية المحلفين - وهم الذين يختارون لمساعدة القاضى على الفصل فى القضية-.

وعلى الفور أصيبت بالخضة سيدتان من المحلفين واستغل المحامى ما جرى للتأثير على المحلفين. وربط بين ما جرى من المجنى عليه وبين ما حدث فى قاعة المحكمة.

ثلاث جلسات نطق القاضى بعدها ببراءة المتهمة مارى مرجريت من قتل على فهمى بمقولة: إنها كانت فى حالة دفاع شرعى عن نفسها.

□□□

قد يثار سؤال بعد أن مات على فهمى وكانت مارجريت زوجته: أليس من حقها أن ترثه كزوجة له؟

الجواب.. نعم. ليس من حقها أن ترثه.

ولأن القاعدة الشرعية تقول:

- من استعجل الشىء قبل أوانه يعاقب بحرمانه.

وهى قاعدة فضلا عن أنها شرعية فهى.. منطقية.

(١١) فى عام ١٩٢٤

أول محاكمة للشيوعيين فى مصر

فى عام ١٧٨٩ اندلعت الثورة الفرنسية وقامت على مبادئ الحرية.. الاخاء.. المساواة وأسقطت النظام الملكى فى عام ١٧٩٢ واعدمت الملك لويس السادس عشر فى عام ١٧٩٣.

وفى عام ١٩١٧ قامت الثورة البلشفية وهدمت النظام القيصرى ونادت بتحويل وسائل الإنتاج من ملكية الأفراد إلى ملكية الدولة.

نبى الشيوعيين كان اليهودى كارل ماركس. الذى ألف كتابا كان للشيوعيين مصدرا لنظريتهم وهو كتاب (رأس المال). والذى صدر فى عام ١٨٦٧. وقد انتشرت الدعوة للشيوعية فى كثير من البلاد لكن سرًا وفى الخفاء نظرا لما كانت تلقاه النظرية من مقاومة وعنت من أى نظام حاكم يخشى على ملكه، وكان يقال عن مبادئ الشيوعية: إنها المبادئ الهدامة.

كانت الدعوة تجد انصارا من الفلاحين والعمال المقهورين الذين لا يجدون شيئا، بينما ينعم الملاك بكل شىء. وكانت الشيوعية تناديهم إنهم لن يخسروا سوى الأساور الحديدية التى فى أيديهم وكان النداء:

يا عمال العالم.. اتحدوا.

وجدت الشيوعية طريقها فى العالم كله.. ومن لم يأخذ بالنظام الشيوعى أخذ بالنظام الاشتراكى. فعمد إلى تخفيف قبضة الرأسمالية وفى الوقت نفسه منح العمال والفلاحين امتيازات لم تكن ممنوحة لهم من قبل.

وقامت الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى حيث النظام القيصرى وقد تم ذلك على خلاف ما كان يتوقعه كارل ماركس. فقد كان يتنبأ بأن النظام الشيوعى سيطبق أول ما يطبق فى المانيا وليس فى روسيا، ولكن خاب تنبؤه.

واخذ لينين يحكم روسيا طبقا للنظام الشيوعى، وخلفه من خلفه إلى أن سقط النظام كله، وبذلك سقطت النظرية الماركسية.

وهناك فرق بين من يكون ماركسيا ومن يكون شيوعيا.

الماركسى هو من درس الماركسية واكتفى بذلك، أما الشيوعى فهو من اعتنق الماركسية وانضم إلى تنظيم شيوعى. لأن النظام الشيوعى يستحيل تطبيقه إلا بوجود وسيلة، والوسيلة هنا هى الحزب.

من الأحزاب الشيوعية التى كانت فى مصر سرا (ح.د.ت.و) أى حركة ديمقراطية تحريرية وطنية (د.ش) أى ديمقراطية شيوعية (وأسكرا) معناها الشرارة باللغة الروسية.

ونحن طلبة كان فى ميدان مصطفى كامل مكتبة تسمى مكتبة الميدان. وكان يملكها يهودى مليونير اسمه هنرى كورييل، وكانت المكتبة «ملتقى» للشيوعيين وهذه الاجتماعات خلاف الاجتماعات السرية.

كما كان أيام النظام الملكى مجلات شيوعية مثل: الكاتب.. الملايين.. الجماهير وهى غير الجمهور.. وكان يصدرها شبان من جيلى وكانوا ينتمون إلى طبقة أولاد الذوات، وليس إلى العمال أو الفلاحين. أقرب مثل على ذلك هو: على الشلقانى، محمود النبوى، وحسين عزت، محمد سيد أحمد وأحمد صادق عزام.. وكل هؤلاء ينتمون إلى عائلات غنية.

وكانت هذه المجلات قليلة الصدور كثيرة المصادرة، والتحقيقات تجرى مع محرريها على الدوام.

□□□

فى تاريخنا السياسى كان كامل باشا البندارى سفيرا لنا فى موسكو وهو شرقاوى من بنايوس وكان يدعو إلى تطبيق الشيوعية. وكان يطلق عليه السفير الأحمر أو الباشا الأحمر.

استطاع جمال عبد الناصر بكل الذكاء والسياسة أن يقوم الشيوعيون برضاهم بحل أنفسهم بأنفسهم وتم له ما أراد.. وقد

لقى هذا القرار اعتراضا من الاتحاد السوفيتى أيامها، إذ كيف يحرم الشيوعى نفسه من سلاحه وهو الحزب الذى ينتمى إليه مع أنه وسيلته للوصول للحكم.

أما فى العالم الخارجى – أى فى الاتحاد السوفيتى – فقد توقف النظام الشيوعى عن العمل وأتى بنظرية جديدة هى البروسترويكا على يد جربتشوف والذى تلاه يلتسن الذى عدل نهائيا عن النظام الشيوعى وحل محله النظام الرأسمالى تدريجيا.

ومن يومها سقط النظام الشيوعى فى العالم ولم يبق سوى فى كوبا والصين. وحتى الصين أدخلت عليه جزءا كبيرا من النظام الرأسمالى وأصبح للغرب شركات ومؤسسات تعمل داخل الصين برأسمال أجنبى وأصبح الدولار عملة متميزة.

□□□

كانت المنشورات تحض العمال وصغار الفلاحين على بغض طائفة أصحاب الأعمال والملاك.. وتقول أن الطائفة الثانية تستغل الفلاحين استغلالا وحشيا.

حرض المتهمون عمال شركات الزيت والغزل بكفر الزيات على ارتكاب جريمة استعمال القوة والإرهاب، كما قاموا بإغراء العمال على احتلال المعامل التى يعملون بها بالقوة وتهديد أصحابها إن لم يستجيبوا لمطالبهم.

كما أنهم نشروا أفكارا ثورية مغايرة للنظام الملكى القائم مخالفين مبادئ الدستور كالمطالبة بإلغاء حق الملكية الفردية. وأن يحل محله نظام ملكية جماعية شيوعية.

وقد أنكر المتهمون التهم التى وجهتها النيابة إليهم، لكنهم اعترفوا بأنهم يدافعون عن حقوق الطبقة العاملة المظلومة ويطالبون برفع الظلم عنها.

فى التحقيق سأل المحقق: ما علاقتهم بالاتحاد السوفيتى؟

والإجابة: علاقة صداقة.

□□□

فى ٢٧ مايو ١٩٢٤ طلبت النيابة العمومية من قاضى الإحالة إحالة القضية المتهم فيها أحد عشر متهما إلى محكمة جنايات الإسكندرية. وفى ٦ أكتوبر من عام ١٩٢٤ أصدرت محكمة الجنايات بالإسكندرية الحكم بمعاقبة حسنى العرابى بالسجن ٣ سنوات.

التهمة كانت جديدة على قاموس القضايا المتداولة. إذ كانت تضم أول متهمين بالشيوعية فى بلادنا.

أسماء المتهمين:

محمود حسن العرابى، تاجر أقطان - أنطوان فاروق، محام مختلط - صفوان أبو الفتح، مدرس - الشحات إبراهيم، كاتب عمومى - عبد الحميد أحمد، كاتب بمحلة أبو على،

محمود إبراهيم السمكرى، سمكرى - شعبان حافظ، صيدلى - محمد الصغير وعبد الحفيظ عوض، مدرسين.

من بين المتهمين اثنان من اليهود هما إبرام كاتس وهليل فواتبرج، ولم يعرف لهما محل إقامة واختفيا.

فى ١٤ يونيو ١٩٢٤ أمر قاضى الإحالة بإحالة القضية إلى محكمة الجنايات.

قرار الاتهام كان يقول:

تكدر السلام الاجتماعى فى البلاد وذلك بتحريضهم. وتم معاقبة المتهمين الآخرين بعقوبات بالحبس ستة أشهر.

أحد المتهمين أضرب عن الطعام لسوء معاملته، وتوفى فى السجن وبالتالى سقطت عنه العقوبة.

وبعد انتهاء فترة العقوبة سافر حسنى العرابى إلى ألمانيا، ثم عاد إلى مصر وحاول تأسيس حزب شيوعى واستقطب عددا من السياسيين لكن لم يستمر أحد منهم معه.

(١٢) فى عام ١٩٢٥

فصل قاض بطريقة دبلوماسية

فى عام ١٩٢٥ كان الملك أحمد فؤاد يتولى عرش البلاد. وزين له بعض حاشيته أن يكون خليفة للمسلمين. أليس له عرش مصر وهذه الأنهار تجرى من تحته.

بدأ بعض حواريه يدعون إلى طلبه وفى مقدمتهم شيوخ من الأزهر الشريف، وكانوا يكتبون المقالات فى الصحف مستندين إلى أن مصر هى قلب العالم الإسلامى. مستشهدين أليس بها أقدم جامعة فى العالم.. الأزهر الشريف؟

كما سرى وجرى هذا التيار أيضا لدى بعض رجال السياسة وأصبح التركيز على أن الملك فؤاد دائم الصلاة فى السراى أما صلاة الجمعة فإنه يصليها علنا وسط تشريفة رسمية.

فى هذا الجو كان هناك قاضٍ شرعى يعمل فى المنصورة وهو من أسرة ثرية وكبيرة بصعيد مصر تنتسب سياسيا إلى حزب الأحرار، الدستوريين، ومنهم أكثر من رجل يحمل لقب «باشا».

لكن هذا القاضى الشاب كان له فكر خاص. وفى وسط هذه الدوامة من الترتيب ليكون الملك فؤاد خليفة للمسلمين كان هذا

القاضى – إلى جوار بحثه وفحصه لقضاياه فى المساء – يعد لتأليف ونشر كتاب ضد هذا الاتجاه مدعما بالأدلة والأسانيد.

الكتاب يحتوى على عديد من الأبحاث: اعتماد الخلافة على القوة والقهر.. الخلافة والاستبداد والظلم.. الحكومة شىء والخلافة شىء آخر.

قال الكتاب كان سيدنا محمد رسولا وليس ملكا. ولم يُعَيّن الرسول خليفة من بعده وترك الأمر للمسلمين.

والكتاب يحمل عنوان «الإسلام وأصول الحكم». وأثر صدور الكتاب كان الخلاف على تقييمه، أقبل عليه البعض وهاجمه آخرون. لكن اتجاه الهجوم عليه والتنديد به كان أعلى صوتا وكان منهم من هم على صلة وثيقة بالملك فؤاد وبينهم وبين القصر الملكى خيط قوى يمكّنهم من إبلاغ ما يشتهون إليه بسهولة ويسر.

المرجفون والوشاة سرعان ما أبلغوا الملك فؤاد على أن الكتاب إسقاط على جلالته، وانتشاره فيه إضعاف لسلطاته وإنقاص من هيبته.

على الفور بدأ التفكير فى أن تجتمع هيئة كبار العلماء وتناقش الكتاب الذى أصدره القاضى.

وينتهى الأمر بتجريده من شهادة العالمية بدعوى وزعم أنه لا يستحقها لأنه جدّف بالإسلام وأصوله.

وإذ تم ذلك فقد صلاحيته ليكون قاضيا شرعيا.

هذا السيناريو طبق بإتقان وإحكام وكان المطلوب هو إبعاد الشيخ على عبد الرازق من منصة القضاء وتوقيع جزاء شديد عليه يستحقه لتمرده على مولانا الملك فؤاد وليكون فى ذلك عظة لغيره.

ولما أبلغت هيئة كبار العلماء قرارها بتجريده من شهادة العالمية بادر بإرسال خطاب لهم يقول فيه:

إنه يشكرهم ويقول لهم كما يقول أساتذتنا من المشايخ الأجلاء عندما يخرجون من المرحاض أى دورات المياه «الحمد لله الذى أذهب عنا الأذى وعافانا».

وكان خطابا شديد اللهجة للمشايخ الذين يُعتبَرون أساتذته وأساتذة غيره من القضاة الشرعيين.

لكن سرى هذا القول الذى يتندر به الشيخ على عبد الرازق على أمور أخرى كثيرة فيما بعد فى حياتنا العادية حين يبعد شخص عن أمر ويصبح بأبعاده فى خير.

وبكل أسف لم يقف أحد فى صف الشيخ على عبد الرازق أو يحاول التخفيف عنه بل إن أسرته – وكانت تتقرب إلى حزب

الأحرار الدستوريين – كانت على صلة حسنة بالقصر الملكى ووجد منهم من تضايق من سلوكه الذى قد يفسد هذه العلاقة.

□□□

وشقيق الشيخ على عبد الرازق الأكبر كان نجما ساطعا فى سماء العلم والسياسة وهو الشيخ مُصطفى باشا عبد الرازق. فهو ابن الأزهر الشريف. وأثر تخرجه سافر إلى فرنسا. وفى – ليون – حصل على شهادة الدكتوراه. وحين عاد إلى مصر بدأ يدرس فى كلية الآداب الفلسفة الإسلامية، تميز الشيخ مصطفى عبد الرازق بأنه بعد أن عاد من فرنسا وكان هناك قد خلع الزى الأزهرى، ولبس البدلة والقبعة عاد إلى زيه القديم وكان يتوجه إلى كلية الآداب لابسا لباسه الأزهرى القديم.

لمعلوماتك اللباس الأزهرى الذى يتمثل فى الجبة والقفطان والحزام وأحيانا العباءة هذا اللباس أغلى بكثير من اللباس الأفرنجى أى البدلة.

الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق عُيِّن شيخا للأزهر الشريف بعد أن عمل وزيرا للأوقاف أكثر من مرة.

أثر تعيينه تنازل عن – لقب – الباشا

واحتفظ باللقب الأهم والأكبر والأسمى – الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر.

عندما توفى الملك فؤاد عام ٣٦ وخلفه الملك فاروق وجد آذنا صاغية للعفو عن الشيخ على عبد الرازق ووافق على ذلك بل وعينه وزيرا للأوقاف وانعم عليه بالباشوية.

الشيخ على عبد الرازق أثر فصله من وظيفة القاضى بعد تجريده من شهادة العالمية خلع العمامة والطربوش ولبس الزى الأفرنجى.

⑬ فى عام ١٩٣٤

تحطيم الحانات وضرب السكارى

حوالي عام ١٩٢٢ أنشأ بنيتو موسوليني زعيم إيطاليا القمصان السود وهو تنظيم عسكرى ينخرط فيه الشبان الإيطاليون. وفى عام لاحق انشأ ادولف هتلر تنظيم القمصان البنى - من ألمانيا.

التحية كانت برفع اليد اليمنى إلى أعلى مع الهتاف تحيا إيطاليا أما بالنسبة للألمان فكان الهتاف «ألمانيا فوق الجميع»..

هذه الموضة فى أوروبا امتدت إلى بلادنا وكان كل من احمد حسين وفتحى رضوان قد كونا جمعية تسمى مصر الفتاة ولم تكن التسمية كما يخطئ البعض أنها على غرار حركة - تركيا الفتاة - والصحيح أنها كانت كلمة من كلمات الزعيم مصطفى كامل.

«أريد أن أبعث فى مصر الهرمة.. مصر الفتاة».

جمعية مصر الفتاة انتشرت دعواها بسرعة شديدة بين شباب الجامعة وقامت بتشكيل شبه عسكرى باسم القمصان الخضراء.

عدوى التقليد امتدت إلى حزب الوفد وكذلك الإخوان.

طوابير مصر الفتاة يلبسون القميص الأخضر «والقايش» وكان السلام برفع اليد اليمنى إلى أعلى مع الهتاف:

● المجد لمصر.

ومن الذين انضموا إلى هذه الطوابير من الجماعات المدنية ذات الشكل العسكرى فى بدء قيامها وتم لفترة قصيرة بمدينة الإسكندرية كل من جمال عبد الناصر وحسن إبراهيم عضوى مجلس ثورة يوليو.

كان ذلك فى عام ١٩٣٤.

عن القمصان الخضراء يقول أحمد حسين: إنه طرأت له فكرة القمصان الخضراء عندما كان يسير بالقاهرة على قدميه بشارع عبد الخالق ثروت فوجد طابورا من الصبية الصغار تتراوح أعمارهم ما بين السادسة والعاشرة يلبسون قمصانا سودا ويسيرون بشكل نظامى ومنتظم على دقات الطبول تتقدمهم أعلام إيطاليا.

هؤلاء كانوا الشبيبة الإيطالية ويطلق عليهم «الباليلا». يقول أحمد حسين: إنه رأى أن بلادنا أولى بهذا النظام فالجندية – وهى شرف – كانت قاصرة على أولاد الفلاحين والعمال لأن أولاد العمد ومشايخ البلاد لديهم إعفاء من الجندية وكذلك طلبة الجامعة وكذلك كل من يدفع ٣٠ جنيها للدولة وكانت تسمى «البدلية».

من أجل ذلك فكر أحمد حسين فى إنشاء هذه الحركة العسكرية.

حزب الوفد حزب الأغلبية وقتها قام أيضا بتشكيلات مماثلة ولبس أعضاؤه القميص الأزرق ولكنهم رفضوا التحية التى يقوم بها أعضاء مصر الفتاة.

رئيس هؤلاء الشباب الوفدى كان الدكتور بلال وكان يركب حصانا ويستعرض الفقرات المدنية شبه العسكرية.

جمعية الإخوان كان لها أيضا تنظيم شبيه، يلبس القمصان «الكاكى» ويطلقون عليها اسم (الجوالة) وكان يرأسهم نجيب جويفل.

لكن تنظيم الإخوان لم يكن يظهر فى الشارع أبدا لأن أعضاءه فى غالبيتهم هم أعضاء فى التنظيم السرى للإخوان.

وفى عام ١٩٤٩ قبض البوليس على عدد كبير من جوالة الإخوان بعد أن كانت ضربة حظ للبوليس أن قبض على عدد منهم يركبون سيارة جيب فأصبحت لهم قضية تعرف باسم السيارة الجيب.

أقول كانت ضربة حظ للبوليس السياسى إذ وجد بالسيارة أسماء عدد كبير من التنظيم السرى كما وجدت أسلحة وذخائر.. وكانوا فى طريقهم لجبل المقطم للقيام بتدريبات عسكرية هناك.

وكان من بين المقبوض عليهم وقتها معظم الذين ظهروا فيما بعد بل منهم من أصبح مرشدا للإخوان فى هذه الأيام.

أعضاء مصر الفتاة لهم حادث آخر غريب ففى عام ١٩٣٤ قام عدد منهم بتنفيذ فكرة قامت بها عدة مجموعات.. فقد كانوا يقتحمون بعض البارات ويحطمون زجاجات الخمر ويضربون السكارى ويهتفون «المجد للإسلام». قبض البوليس على عدد منهم

كما قبض على الأستاذ أحمد حسين بتهمة التحريض على هذا الإتلاف.

قال أحمد حسين: إنه يقوم بتطبيق الحديث الشريف «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان».

ثم قاموا بحادث آخر إذ نظموا مظاهرة توجهت إلى حى - وجه البركة - وكان به الساقطات من محترفات البغاء يعملن بشكل علنى ورسمى ويحصلن على رخصة من الحكومة ويكشف عليهن طبيب كل أسبوع بمستشفى الحوض المرصود.

أقول قامت مظاهرة تندد بالبغاء الرسمى وتطالب بإلغائه. ووقع صدام بين المتظاهرين والبوليس وسقط أحد المتظاهرين من أبناء الحزب واسمه عبد الغنى ومما يذكر أن حكومة النقراشى باشا بعد أن قامت بحل جماعة الإخوان - واحتلت المركز العام للأخوان وحولته إلى قسم بوليس الدرب الأحمر واعتقلت رجالهم - قامت بإلغاء البغاء الرسمى. وتم ذلك على يد وزير الشئون الاجتماعية جلال باشا فهيم.

كان غرض حكومة السعديين من هذا الإلغاء أن تعلن أنها بالرغم من هجومها على جماعة الإخوان إلا أنها مع الدين الإسلامى وتقوم بتطبيق تعاليمه وبعبارة أخرى الإسلام شىء والإخوان شىء آخر.

الذين قبض عليهم من أعضاء مصر الفتاة متهمين بتحطيم الحانات وإتلاف الأثاث وإصابة بعض الجالسين كانوا من طلبة الجامعة المصرية أو من شباب الأزهر وكان أكبرهم سنا هو الأستاذ أحمد حسين وتهمته التحريض.

□□□

هذه القضية ظلت تنظرها محاكم الجنايات.. وكلما نظرتها دائرة قامت بتأجيلها إلى دورة قادمة أو بحسب التعبير القانونى- دور مقبل.

وظل هذا التأجيل مستمرا حتى قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢.

وفى عام ١٩٥٣ وأمام إحدى دوائر محكمة الجنايات - وكان عدد منهم أى من المتهمين قد استقالوا من مصر الفتاة بل منهم من انتقل إلى العالم الآخر-.

وقف وكيل النيابة ليقول لهيئة المحكمة.

- النيابة العامة تفوض الرأى للمحكمة.

مال المستشار رئيس الدائرة على عضو اليسار وتهامسا ثم مال إلى عضو اليمن وتهامسا ثم اعتدل فى جلسته وقال.

- براءة جميع المتهمين وسقوط التهمة عمن توفى.

(١٤) فى عام ١٩٣٧

الحجر على نسيم باشا.. بأمر المحكمة !

هو محمد توفيق نسيم من أصل أناضولى وفدت أسرته إلى مصر ولم يكن قد ولد بعد. وأبوه محمد باشا نسيم من رجال القصر الملكى.

تربى فى المدارس الفرنسية - الجيزويت - ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية وتخرج فيها وكان من المتفوقين فضلا عن صغر سنه عند التخرج على خلاف العادة.

فى سلك النيابة العمومية لبث وقتا ليس طويلا ثم جذبه العمل فى القصر وظل يصعد السلم الإدارى حتى وصل إلى منصب رئيس الديوان الملكى.

شغل عددا من الوزارات منها: الأوقاف - الداخلية - وكانت الحكومة أيامها تتألف من خمس وزارات على الأكثر.

من زملائه فى هذه الوزارات كان عبد الرحيم باشا صبرى والد الملكة نازلى. وأيضا محمود باشا فخرى زوج الأميرة «فوقية» الابنة الكبرى للملك أحمد فؤاد من الأميرة شويكار قبل زواجه من نازلى.

ومن بين زملائه أيضا أحمد باشا زيور والذى عين فيما بعد رئيسا للوزراء خلفا لسعد باشا زغلول بعد إقالته بمناسبة اغتيال

السيرلى ستاك القائد البريطانى وإذ تولى زيور باشا رئاسة الوزارة كانت له مقولة سياسية شهيرة هى «إنقاذ ما يمكن إنقاذه وارتبطت باسمه».

كلفه الملك فؤاد برئاسة الحكومة ثلاث مرات فى أعوام ١٩٢٠ و١٩٢٢ و ١٩٣٤.

من بين الوزراء الذين كانوا معه نذكر نجيب الهلالى وكان وزيرا للمعارف والذى فيما بعد تولى أكثر من مرة رئاسة الوزارة ومن أشهرها الوزارة الأخيرة التى شكلت فى عهد الملك فاروق واستمرت عدة ساعات إذ قامت الثورة فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢.

لم ينل توفيق نسيم حظا من التاريخ فكثيرا ما قامت مظاهرات فى الشارع السياسى تهتف بسقوطه والتزمت بعبارات.. «نسيم يا كل برسيم.. نسيم أبو عقل تخين».

حدث هذا مع أن له موقفا لابد أن يذكر له منذ أن تقدم للملك فؤاد بمذكرة يدعوه فيها إلى إلغاء دستور سنة ٣٠ وهو الدستور الذى وضعه إسماعيل صدقى باشا وطالب الملك بأن تعود البلاد إلى دستور سنة ٢٣. وكان فى الحقيقة مطلبا شعبيا.

وفى ١٩٣٥/١٢/١٢ تمت إعادة دستور ١٩٢٣ وقبل ذلك تم إلغاء دستور سنة ١٩٣٠.

وكان أمرا طبيعيا أن يحل مجلس النواب وكذلك مجلس الشيوخ. ثم أسندت الوزارة لزعيم الأغلبية مصطفى النحاس باشا خلفا لنسيم باشا.

ما سبق يعتبر لمحة سياسية واجبة للتعرف على أحد الشخصيات السياسية المصرية فى حقبة من الزمن، ثم نأتى إلى لب الموضوع أو كما يقول العرب نأتى إلى – مربط الفرس – .

□□□

إذا كنت من سكان الهرم أو المترددين على هذا الحى فلابد أنك تعرف أو سمعت عن أرض نسيم باشا وهى تقع على اليمين وأنت متجه إلى الأهرامات ويتوسطها قصر كبير.

هذه الأراضى كانت أراضى زراعية تزرع خضراوات تغذى القاهرة ومع الأيام وزحف المبانى تحولت إلى منطقة سكنية.

هذا القصر الذى كان يسكنه نسيم باشا سكنته فيما بعد الكاتبة القصصية السيدة «جاذبية صدقى» لكن هل اشترته من ورثة نسيم باشا أو استأجرته أم هى من ورثته.

الله أعلم.

□□□

فى حياة صاحب الدولة توفيق نسيم باشا واقعة أقرب أن تكون حادثا لما ترتب عليها من آثار سيئة فى حياته.

كان من عادته مثل كبار الأثرياء المصريين قضاء فترة الصيف فى أوروبا وكان نسيم باشا يفضل سويسرا وتحديدا إقليم «التيرول» وكان يرى أنه جنة الله فى أرضه.

مكانه الدائم المستقر كان فى - نُزل - بضم النون، وهو أوتيل صغير فى ريف التيرول. وكان يصحب معه فى حقائب السفر مجموعة من صوره الرسمية لابسًا البونجو أو الفراك او الاسطمبولينا وتحت الجاكت الوشاح الأخضر وعلى الصدر مجموعة من النياشين.

هذه الصور كانت تجد مكانا لها داخل براويزها على حائط غرفة الصالون الملحقة بغرفة نومه فى - السويت - الذى يستأجره طوال أقامته وكان كريما وسخيا مع العاملين فى الأوتيل.

ابنة صاحب الأوتيل وهى فتاة صغيرة اسمها مارى هوبينر تقف أمام هذه الصور مشدودة بهذا الشخص ذى النفوذ الكبير فى بلاده والذى تنطق به الصور.

وكانت مارى هوبنر تسأل الباشا نزيل فندق أبيها وهو يجيب ونظرا لصغر سنها - فهو فى مقام جدها - كانت تجلس على ركبتيه.

مرة فمرة نبت الغرام فى قلب الشيخ العجوز نحو الفتاة الصغيرة. وفى آخر زيارة للنمسا دعا الأسرة كلها - الأب والأم والفتاة

وشقيقها وزوجته – لزيارة القاهرة والتمتع بالنيل العظيم وبالمعجزة التى تبدو فى أهرامات الجيزة وأبو الهول.

الأب النمساوى والأم لم يكن ما يجرى خافيا عليهما وبالتالى لم يفاجأ أحد بانه يعرض عليهما الزواج من الابنة – مارى – وبسؤالها لم توافق فحسب بل كادت تطير من الفرح.

بدأت الاستعدادات لما سيتم وبما يليق بوضع نسيم باشا. ولم يكن ما يجرى سرا إذ وصل إلى الصحف والمجلات وبدأت تنشر قصة الغرام بين رئيس الوزراء العجوز وبين الفتاة الأجنبية الصغيرة فى عمر أحفاده. بعض أقاربه علموا أن الباشا ينوى أن يكتب كل ما يملك إلى أسرة الفتاة وأنه عرض عليهم أن يقيموا بالقاهرة فى لوكاندة كبيرة وأنه سيتولى التمويل.

وتشاوروا وانتهوا إلى قرار خطير، هو إقامة دعوى – حجر – على نسيم باشا لمنعه من التصرف فيما يملك.

لم تكن المحكمة الحسبية قد وجدت بعد، ولكن بدلا منها كان المجلس الحسبى.. وكان يشكل من قاض أهلى وآخر شرعى وعضو ثالث من أعيان الحى أى أثريائه وكان موقعه بشارع – نوبار – بحى المالية.

القاضى سأل نسيم باشا ثلاثة أسئلة أخطأ فيها وكانت عن أى الأيام نحن؟ وفى أى الأشهر وفى أى سنة؟

وحين أدرك نسيم باشا أنه أخطأ توجه للقاضى بسؤال عما إذا كان يستطيع - أى القاضى - أن يذكر له على الفور كم زرارا مثبتا على الصديرى الذى يرتديه؟ - وهل يستطيع نفس الشىء بالنسبة لزراير البنطلون أو القميص؟

وكانت فعلا أسئلة صعبة.

ولكن ذلك لم يمنع المحكمة من توقيع الحجر عليه وتنصيب أحد أقاربه قيما عليه هو الذى يستطيع التصرف فى أملاكه نيابة عنه.

وعلى أثر ذلك غادرت أسرة هوبنز البلاد عائدة إلى النمسا وبعدها توفى نسيم باشا فى عام ١٩٣٨.

⑮ فى عام ١٩٤٠

المحكمة تفض الجلسة..
لأن الشعـر غير مفهـوم

المحامين بمحكمة القاهرة.

غرفة كانت مدرسة يتحلق فيها المحامون حول شيوخهم. يستمعون، ويستمتعون، ويتعلمون، ويستفهمون، ويتدارسون. ومن أشهر من كنا نستمع إليه عبدالمجيد نافع وهو دقهلاوى من قرية دنديط وشهرته ميرابو أحد خطباء الثورة الفرنسية.

قصير القامة عريض المنكبين شعره أبيض كالكتان، ومنظاره غليظ، وعلى كتفيه «روب أسود» له ذراعان تنتهيان بفرو أبيض ناصع.

كانت له طريقة فى المرافعة أمام محكمة الجنايات. فالمحامى عادة يوجه كلامه إلى المحكمة. لكن عبد المجيد نافع كثيرا ما كان يلتفت إلى الخلف ويخاطب الجمهور خصوصا إذا كان كلامه استنكارا لواقعة من الوقائع.

ولم يكن أحد من القضاة يرده عما يفعل، لأنه لم يكن يسترسل فى ذلك طويلا بل هى لحظات خاطفة من المرافعة يتساءل والسؤال للجمهور ثم يعود ثانية إلى منصة المحكمة.

بعد حصوله على الليسانس سافر إلى فرنسا ومكث فترة قصيرة ثم عاد ليكون محاميا أمام محكمة ميت غمر. ثم ضاقت به قدراته فحضر إلى القاهرة حيث أفسحت له مكانا بين كبار المحامين.

دراسته فى باريس أعطته مادة غزيرة للحديث عن المحامين فى فرنسا وعن خطباء الثورة الفرنسية والاستشهاد بكلمات لفولتير وبودلير.

حديثه كان مزيجا بين الجد الذى يتناسب مع مقامه وبين الفكاهة والظرف الذى يستمتع بقدر كبير منها خاصة عندما كان يحكى عن الفترة الزمنية فى بدء حياته بالمحاماة فى الريف.

□□□

إحدى القضايا التى عرضت عليه وترافع فيها: ابن عمدة قرية مجاورة اعتدى على فتاة ريفية تعمل فى حقله وكانت الشكوى وكانت قضية أمام المحكمة.

أمام القاضى قال الأستاذ نافع بادئا مرافعته بخطبة قصيرة عن ظروف الحادث قال:

إن الفتاة المجنى عليها من الجَفَلَة بفتح الجيم والفاء أما المتهم فهو من النقَرة بفتح القاف.

فتح القاضى فمه مستفهما ماذا يقول المحامى.

عاد الأستاذ عبدالمجيد نافع ليكمل مرافعته مستهزئا بالمحكمة.

ويبدو أن المحكمة لا تعلم شيئا عن قول الشاعر القديم:

نحن فى المشتاة ندعو الجَفَلى لا تـرى الآدِبَ فينا ينتقـــر[1]

ورفع القاضى الجلسة ودخل إلى غرفة المداولة وطلب المحامى إليها.

ودار الحوار.

– ما هذا الذى تقول؟

– إنه قول شاعر عربى.

– يعنى إيه ؟

شرح المحامى أن الجَفَلة هم العوام والطبقة الدنيا أمّا النَقَرة فهم الخاصة والذوات.

فقال القاضى:

– ماذا يهم فى ذلك ؟

فقال المحامى: إنه لا يمكن أن تسوى بين العامة وبين الخاصة فهؤلاء العوام لديهم حقد – طبقى – على أسيادهم وهذه قضية ملفقة لأنها لا تصل إلى المعقول. لأن المتهم وهو سيد أهل قريته بل بيته لا يمكن أن ينحنى وينخفض ليرتكب هذا الفعل الدنىء الذى قالت عنه الفتاة المجنى عليها.

---

(١) لسان العرب جـ ١ ص ٦٤٣ مادة جَفَل.

طلب القاضى أن يعود إلى الجلسة العلنية وعلى المحامى أن يحدد مرافعته بكلام مفهوم ولا داعى أن يحشر هذه الألغاز فى مرافعته.

يكمل الأستاذ الكبير عبد المجيد نافع بأن القاضى يبدو أنه تأثر بعدم معرفته بالشعر الذى ألقاه على مسمعه فأدان موكله بأقصى عقوبة.

عبد المجيد نافع كان أحد المحامين الذين ترافعوا عن الأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى فى القضية التى أراد النظام الملكى أن يصطاده فيها كمحرض على حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢.

وكان القلم السياسى قد جند أحد رجاله من أعضاء الحزب الاشتراكى واسمه بسيم السعيد ليشهد كذبا بأنه رأى أحمد حسين يركب سيارة ستيروين ويسير بها فى الشوارع ويحرض المتظاهرين على حريق المحلات.

وقالت النيابة فضلاً عن ذلك بأن مجموع مقالات أحمد حسين فى جريدة الاشتراكية كانت تحضّ على الثورة كما وجهت إليه تهمة العيب فى الذات الملكية ايضا.

التهمتان الأولى والثانية شاركه فيها رئيس تحرير جريدة الاشتراكية عبد الخالق التكيه وكذلك الأستاذ زخارى المحامى.

بهذه المناسبة نتج عن حريق القاهرة فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ إتلاف ٢٠٠ محل تجارى و ١١٧ شركة أجنبية و ١٣ فندقا و ٤٠ دار سينما و ٧٢ مطعما و ١٣ محلا لبيع الخمور و ١٦ بنكا أجنبيا.

مقالات الجريدة الاشتراكية كانت عناوينها تحمل العبارات التالية:

هؤلاء هم رعاياك يا مولاى.

الثورة . . . الثورة . . . الثورة . . .

أليس منكم رجل رشيد ؟!

□□□

عبد المجيد نافع دخل تاريخنا القضائى؛ إذ هو الذى ترافع عن الشيخ خالد محمد خالد عندما رأى البوليس مصادرة كتابه (من هنا نبدأ) وكانت قضيته أمام المستشار حافظ سابق رئيس محكمة القاهرة وحكم بالإفراج عن الكتاب.

نعود إلى موضوعنا.

أثناء مرافعة عبد المجيد نافع عن أحمد حسين دق بيده على المائدة أمامه وصاح كالأسد الهصور.

إن هذه الأدلة لا تكفى لشنق معزة..

أعتبر ممثل الاتهام هذا التعبير إهانة له وغادر القاعة ورفعت المحكمة الجلسة وطلبت من عبد المجيد نافع أن يعتذر بالجلسة. لكنه رفض أن يفعل هذا وانسحب من المحكمة.

حقق مع عبد المجيد نافع فى تهمة اهانة المحكمة لكن الزمن كان أسرع من هذه الاجراءات إذ انتهى النظام الملكى ونهض محله النظام الجمهورى..

وأغلق الملف . .

⑯ فى عام ١٩٤٢

الخـوذات المقلـدة

كنا طلبة فى كلية الحقـوق فـى السـنة الثانيـة وربمـا فـى السـنة الثالثة.

إلى جانب الدراسة كنا نهوى السياسة ونختلف إلى الجمعيات الأدبية والمناظرات. ومن بين اهتمامنا ما يجرى فى ساحات محاكم الجنايات. وكنا نستقى معلوماتنا من الصحف اليومية عن الجرائم المشهورة وكانت الصحف تفرد لها أبوابا ثابتة.

وكان أمرا طبيعيا أن نتوجه إلى محاكم الجنايات. أليست هى دور مستقبلنا؟. فنرى المحامين بأروابهم السوداء، ونرى أعضاء النيابة والمستشارين يضعون الأوسمة الخضراء على صدورهم. وكان لصوت حاجب المحكمة وهو يصرخ:

– محكمة.

فيقف الجميع وتنخلع بعض القلوب. أثر بالغ وبليغ.

□□□

من بين القضايا التى قرأنا عنها قضية أمام محكمة الجنايات المتهم فيها شخصية عامة هو أحمد سالم.

وأحمد سالم شرقاوى من أبو كبير امتاز بثرائه حتى إن له فى أرضه الواسعة مطارا خاصا، حطّ به حين جاء من إنجلترا طائرا إلى مصر.

وأحمد سالم عمل مديرا لمكتب طلعت باشا حرب مؤسس بنك مصر. ومن بين مشروعاته ستوديو مصر، حيث كان لأحمد سالم فيه نشاط واسع ومن هنا جاءت هوايته للتمثيل، فقد كان له فيلم اسمه «الماضى المجهول» مع الفنانة ليلى مراد.

□□□

تقابلت مع زميل فى الصباح الباكر فى محل (استرا) بميدان الإسماعيلية الذى سمى فيما بعد التحرير وكان استرا لا يقدم مشروبات كحولية. ثم ترجلنا إلى محكمة القاهرة بباب الخلق.

أقول – ترجلنا - لأنه لم يكن لدينا سيارات طبعا كما لم نكن نملك أجرة (التاكسى).

داخل قاعة محكمة الجنايات كان فى داخل القفص أحمد بك سالم. وفى صفوف القاعة جلست كل من أمينة البارودى وكذلك أسمهان.

ودار بين الثلاثة حديث أحمد سالم من داخل القفص وهما من خارجه. وسمعنا أنهما صاعدتان إلى سعادة النائب العام لمقابلته لأمر يخص أحمد سالم.

أمينة البارودى هى أمينة عصمت طلبة ووالدها من رجال الزعيم عرابى. لكنها سميت بالبارودى نسبة إلى جدها لأمها محمود سامى البارودى. وكان يلقب برب السيف والقلم لأنه كان إلى جوار عمله كوزير للحربية كان شاعرا.

أما أسمهان فهى آمال الأطرش جاءت إلى مصر مع أخويها فؤاد وفريد وأمهم عالية المنذر. وهم من الدروز بجبل لبنان، وكانت آمال متزوجة ابن عمها حسن باشا الأطرش وجاءوا لاجئين إلى مصر.

فى هذا التاريخ كان أحمد سالم متزوجا بواحدة منهما ولكن مَنْ هى؟ لا أعلم. لأنه تزوج كلا منهما فى تاريخ أنا لا أعرفه لكنه أول من تزوج كانت السيدة خيرية البكرى وأنجب منها ابنته نهاد سالم وشهرتها (نانا) سالم.

أحمد سالم فى قفص الاتهام لا يجلس ولكنه دائم الحركة. يحيى ويسلم بيد. ويشد بيد على الكثيرين ويرسل قبلات فى الهواء.

لباسه يمتاز بالجمال والأناقة فضلا عن الاختلاف عن الموضة السائدة.

طربوشه أقصر من اللازم كما أنه شديد الاحمرار.

الجاكت بصف واحد لكن ليس زرارين كالقناديل بها أربعة زراير وعلى الجانبين جيبان كأى جاكت لكن بينهما جيب صغير على الشمال يضع به علبة الكبريت.

المنديل فى الصدر ليس ثابتا. بل هفهاف يصعد وينزل ويتمايل.

المنديل الذى كنا نضعه فى جيوبنا بالبنطلون له أكثر من استعمال. لكن أحمد سالم كان يضعه فى مكان آخر.

فى داخل كم الجاكت الشمال يخرجه ويستعمله ثم يدسه ببطء إلى داخل كم الجاكت.

يخرجه ليمسح عرقه، أو لا شىء سوى أن يقوم بهذه الحركة غير المعروفة لأحد أيامها.

دقائق ودخل محاميه «وهيب بك دوس» وكانت له لدغة محببة فى الكلام.

□□□

القضية التى اتهم فيها الوجيه أحمد سالم كما كانت تطلق عليه الصحف هى جناية غش وتزوير واختلاس.

أعلنت وزارة الحربية عن طلبها توريد - خوذات - يلبسها الجنود من صلب معين اسمه صلب هادفيلد.

أحمد سالم دخل المناقصة ورسا عليه العطاء واستلم الشيك المالى للتوريد وقام بالتوريد للخوذات المطلوبة فعلا كما نص العقد فى (مواعيده).

فترة قصيرة واكتشف خبراء الجيش أن هذه الخوذات ليست من صلب (هادفيلد) أو أى صلب. بل هى من نحاس عادى وأنها طليت بمادة توحى بغير ذلك.

ومؤدى ذلك أن الغش حدث بالمخالفة لنصوص العقد فى أوصاف الخوذات. وفى أهم المواصفات المطلوبة المنصوص عليها بالعقد المبرم مع وزارة الحربية.

حققت معه النيابة وقدمته إلى محكمة الجنايات.

دفاعه أتى بخبراء يشهدون بأن أية خوذة كانت من صلب هادفيلد حقيقة وإذا أصابتها شظية قنبلة فإنها تحرقها وتصيب رأس حاملها.

ومؤدى دفاعه أن صلب هادفيلد أو غيره لا يحمى صاحب الخوذة من الأذى عند تعرضه لشظية قنبلة.

□□□

هذا الدفاع لم تأخذ به المحكمة وحكمت على أحمد سالم بالسجن.

وقالت الصحف أيامها إنه نقل إلى مستشفى القصر العينى لإصابته بقرحة فى المعدة.

⑰ فى عام ١٩٤٣

عزيز المصرى واعتقاله فى امبابة

بعد محاولة فاشلة للهروب بطائرة حربية

كنا فى عام ١٩٤١ الحرب محتدمة فى الصحراء الغربية بين القوات البريطانية التى تعانى من الهزائم على يد القوات الألمانية.

وكان المصريون لديهم تعاطف مع الألمان تحت شعار «عدو عدوك صديقك» وكان المصريون يكرهون الانجليز المحتلين لبلادنا منذ عام ١٨٨٢ بل وكانت هناك بعض المظاهرات غير المسئولة تهتف - تقدم يا روميل.

□□□

فى صباح ١٦ مايو عام ١٩٤١ فوجئت السلطات العسكرية المصرية باختفاء طائرة حربية عقب بلاغ من المطار الحربى. وعلى صعيد آخر كان هناك بلاغ آخر أن طائرة عثر عليها فى مزارع البرتقال بقليوب. ثم اكتشف أن الطائرة ركبها فى منتصف الليلة السابقة ضابطان بسلاح الطيران ومعهما ثالث ظهرت شخصيته من الأوراق التى وجدت بالطائرة.

كان الضابطان حسين ذو الفقار صبرى شقيق على صبرى نائب رئيس الجمهورية الأسبق وعبد المنعم عبد الرءوف. أما الثالث فكان

شخصية معروفة على مستوى الجميع.. كان الفريق عزيز باشا المصرى.

وكان عزيز المصرى يمقت الإنجليز المحتلين لبلادنا. ويكره الملك فاروقا بعد أن كان يتولى رعايته فى إنجلترا ثم أبعدوه عنه كما كان يحتقر الأحزاب السياسية ويرى أنها أدوات فى يد السفارة البريطانية أو القصر الملكى.

لم يكن الأمر بسيطا فخروج طائرة دون أذن السلطات وعليها شخصية كبيرة يكرهها الملك والانجليز كل هذا يؤلف دراما سواء للقصر أم للإنجليز.

وزادت أهمية الأمر أن الحرب كانت دائرة وكان الانجليز يعانون فى بادئ الأمر مما تفعله بهم قوات الألمان.

كشفت التحقيقات الأولية أن الثلاثة الهاربين توجهوا بعد سقوط الطائرة فى مدينة قليوب إلى نقطة البوليس وكان المأمور واسمه - الطلياوى - يعرف شخصية عزيز المصرى إذ كان مديرا لكلية البوليس من قبل. وقد ادعى أن سيارته أصابها عطل على بعد ثلاثة كيلو مترات وهو مضطر للسفر حالا إلى القاهرة.

أمر مأمور قليوب بسيارة تابعة للشرطة أن تحمل الثلاثة وتتجه بهم إلى القاهرة حيث نزلوا فى ميدان الأوبرا. لكن أين اتجهوا بعد ذلك؟ كان هذا السؤال الذى نشطت كل الأجهزة للإجابة عليه.

ولطم مأمور قليوب على خدية بعد أن اكتشف أنه خدع وكان ضحية وساعد بنفسه على المساهمة فى جزء من هذه المسرحية.

كان القصر الملكى يلح. وكذلك السفارة البريطانية تستحث لمعرفة أين يوجد عزيز باشا بل ولابد من سرعة القبض عليه إذ كان الأمر يشكل خطورة شديدة عليهم. بعد أن أتضح أن الطائرة كانت فى طريقها إلى قوات الألمان على الحدود الغربية وتبين ذلك من الاطلاع على بعض الأوراق بالطائرة المختطفة.

□□□

فى الستينات وفى الصيف ومكان اللقاء بين المستشار كامل البهنساوى مع أحد حكام مصر السابقين فى عهد النظام الملكى اللواء محمد إبراهيم إمام والذى كانت الوزارات تتغير من أغلبية إلى أقلية إلى وزارات ائتلافية ولكن اللواء فى مكانه باق لا يتغير إذ كان ولاؤه للنظام وليس للحزب الحاكم.

عن واقعة كيف تم القبض على عزيز المصرى ورفيقيه قال اللواء إمام:

كان لدىّ عقيدة راسخة: أنه ما من حادث سياسى هام يحدث على الساحة إلا وللأستاذ فتحى رضوان المحامى ورئيس الحزب الوطنى صلة به وله فيه يد كبيرة كانت أم صغيرة.

يقول اللواء إمام:

وبالتالى راقبنا مكتب فتحى رضوان وكان يقع أيامها بشارع الساحة بالقرب من محكمة عابدين وأخذنا نراقب. ولوحظ أثناء المراقبة أن أحمد مرزوق - صاحب بيت الرياضة بشارع شريف باشا وهو من أعضاء اللجنة العليا للحزب الوطنى - عندما هم بالدخول إلى العمارة تلفت يمينا ثم شمالا واستبقى خطواته عدة ثوان.

تركنا فتحى رضوان وأخذنا نتتبع أحمد مرزوق فلوحظ أنه تردد أكثر من يوم على امبابة ولكننا فشلنا فى تحديد المنزل الذى دخله إذ كان يتوه منا فى كل مرة وسط الحارات الضيقة والأزقة.

فى أحد الأيام دخل امبابة ولم يظهر إلا فى صباح اليوم التالى مبكرا ومعه شخص مفتول العضلات مجهول بالنسبة لنا، نحن رجال المباحث العامة.

ويستطرد اللواء إمام فيقول:

- تركنا مرزوق وأخذنا فى تتبع الشخص الذى كان برفقته فوجدناه يدخل كل صباح كلية الفنون الجميلة ورحنا إلى إدارتها وطلبنا صور جميع العاملين بها من أساتذة وإداريين وفراشين ووقعت العيون على الشخص الذى نتتبعه كان المثال عبد القادر رزق وهو من الحزب الوطنى أيضا.

وعرفنا عنوانه السكنى فى امبابة فراقبناه ولكن لم نلاحظ شيئا غير عادى.

وفى صباح أحد الأيام ونحن نقتفى آثار وتحركات عبد القادر رزق توجه إلى محل جروبى بشارع عدلى وخرج وخلفه سفرجى نوبى يحمل لفافات كثيرة من طعام وحلوى ونادى على تاكسى وانطلق يحمله مع اللفافات إلى منزله بامبابه.

شددنا الحراسة على المنزل فلاحظنا انه إذا جن الليل ونامت الناس واطفئت الأنوار ظلت إحدى الغرف الخلفية بها ضوء خافت لا ينبعث من الكهرباء بل من الشموع الموقدة.

ينتفض اللواء محمد إبراهيم إمام ويعلو صوته.

– أدركت هنا أن عزيز المصرى وزميليه فى هذه الشقة بكل التأكيد.

وفى الصباح خرج عبد القادر رزق كعادته إلى عمله فتوجهت إلى شقته ودققت الباب وفتحت سيدة شراعة الباب المغلق وتبين أنها شقيقته وأدعيت أنى أحمل تلغرافا للأستاذ رزق وطلبت منها احضار قلم للتوقيع بالاستلام. وحين غابت السيدة فى داخل الشقة مددت أصابعى من خلال شراعة الباب وفتحته. وفى غرفة بابها نصف مغلق فتحته مشهرا طبنجتى ووجدت «عزيز باشا» وزميليه

جالسين فى استرخاء يشربان قهوة الصباح ولم تحدث مقاومة بل طلب الجميع وقتا لتغيير الملابس.

□□□

سألت اللواء إمام الذى استغرق حديثه أكثر من الساعة إن كان هناك من يرى أنه كان بصدد البحث عن أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى الذى كان قد هرب من مستشفى قصر العينى والذى أعد له خطة للهرب الموسيقار مدحت عاصم.. فقد انتظره على النيل فى سيارة مكشوفة ومعه فتاة أجنبية ليوهم من يراه أنه فى جلسة غرام على النيل ونزل إليه أحمد حسين لابسًا الروب والشبشب حيث أوصله إلى أحد قادة الحزب الاشتراكى نظير سعداوى.

والمعنى أنها كانت ضربة حظ ولكن اللواء إمام أنكر هذه الرواية وقال الحقيقة هى ما قررتها وكانت هناك خطة وجهد ودراسة وبحث انتهت بالنجاح.

⑱ فى عام ١٩٤٥

اغتيال أحمد ماهر فى مجلس النواب

كنا طلبة فى كلية الحقوق وكانت المرة الأولى فى حياتنا التى نرى فيها رئيس مجلس الوزراء بيننا.

فى هذا اليوم قام الطلبة الذين ينتسبون إلى حزب الوفد بمظاهرة فى فناء الجامعة يهتفون ضد رئيس الوزراء أحمد ماهر.

وأقبل علينا أحد أبناء - مجموعتنا - صلاح أبو جبل - السفير فيما بعد يهمس فى أذننا:

- «الباشا جاى حالا»

أحمد ماهر كان زوج والدته وقد اتصل به تليفونيا من الكلية وأخبره بما قام به الطلبة الوفديون.

فعلا نصف ساعة وأقبلت سيارة سوداء كبيرة ودخلت حرم الجامعة والتفت لتقف إلى اليمين حيث كلية الحقوق ونزل منها دولة الباشا.. رجل قصير القامة أميل للبدانة وفى يده عصاه.

كانت مفاجأة لا تصدق أن يأتى رئيس الوزراء بمفرده بلا حرس يحميه وبلا أى جمهور من شباب حزبه.

وصعد إلى السلالم الأمامية لمدخل كلية الحقوق ووقف على كرسى يخطب فى المتظاهرين.

هجم عليه الوفديون يريدون الاعتداء عليه وعلى الفور أحاط به حرس الجامعة وصعدوا به إلى الدور العلوى ووقف فى الشرفة يندد بهم ويقول إنه يرى أن حزب الوفد يلعب بهم. وإنه يرى المصاريف السرية تلعب بهم أيضا.

كانت شجاعة نادرة من هذا الرجل الأعزل من أية قوة أن يحضر بنفسه إلى هذا الجمع معرضا حياته للخطر وسط جموع الغاضبين الثائرين يحمل قلبا جسورا بين صدره وفى يمناه مجرد عصا خيرزان.

وأحمد ماهر من أبرز الشخصيات التى انفصلت عن النحاس باشا أى الوفد. وأسس هو والنقراشى باشا وعدد كبير من الوفديين السابقين حزبا أطلقوا عليه الحزب - السعدى - نسبة إلى سعد باشا زغلول تماما كما يفعل اليوم أنصار عبد الناصر ويسمون حزبهم الحزب الناصرى.

ومن أبرز رجالهم إبراهيم عبد الهادى وحامد جودة.

الحزب السعدى أصدر جريدة تعبر عن رأيه اسمها (الأساس).

وكان أحمد ماهر والنقراشى فى شبابهما من رجال اليد السوداء وهو التنظيم السرى لاغتيال الإنجليز المحتلين للبلاد وكان على رأس التنظيم عبد الرحمن فهمى.

وتدور الأيام والليالى، وفى عام ١٩٤٥ تعلن الصحف اليومية أن أحمد ماهر رئيس مجلس الوزراء سيلقى بيانا فى مجلس النواب يعلن فيه أن مصر ستنضم إلى الحلفاء أى إنجلترا وأمريكا وروسيا ضد المحور أى ألمانيا وإيطاليا واليابان.

ويرى البعض أن هذا القرار كان خيرا كبيرا لنا.

لكن الأيام كانت تعد لنا شيئا آخر.

حدث هذا فى الصباح. وفى مساء نفس اليوم كانت مجموعة من الأصدقاء يجلسون فى بار (سيسيل) بميدان التوفيقية وردّد قائل ما قرأه فى الصباح وناقشه أحد الحاضرين. ولم يكن قرأ شيئا عن هذا الخبر وأجاب إن الخبر صحيح وأضاف المتحدث حجاشى بتشديد - الجيم - يتقتل أحمد ماهر.

فى المساء كان أحمد باشا ماهر متوجها إلى مجلس النواب وأمام البهو الفرعونى فاجأه شاب نحيل القامة بإطلاق الرصاص فخر صريعا وفاضت روحه فى الحال. وأطفئت أنوار المجلس دقائق ثم أعيدت للضوء ويرى البعض أن فى ذلك دليلا على أن القاتل كان له شركاء.

الحاضرون انهالوا بالضرب على من ظنوا أنه القاتل وكان - سليمان عزت - قائد البحرية فيما بعد والذى سقط على الأرض مُمسكًا بيديه على ساق القاتل الحقيقى والذى تبين فيما بعد أنه محام شاب

يعمل فى مكتب قطب الحزب الوطنى المعروف عبد الرحمن الرافعى.

ظهرت الصحف تقرر أن القاتل هو محمود العيسوى المحامى الذى ينتمى إلى فكر الحزب الوطنى القديم.

وقد تبين فيما بعد أن موضوع الحزب الوطنى كان مجرد غطاء غير صحيح لأن الشيخ خالد محمد خالد حين كتب قصة حياته حكى للمرة الأولى أن العيسوى كان عضو التنظيم السرى لجماعة الاخوان وأنهم دبروا حادث الاغتيال.

□□□

بعد الحادث بيوم تقدم من أوصل معلومة إلى القلم السياسى عن المجموعة التى كانت تجلس فى بار سيسيل وأن واحدا منهم كان على علم مسبق بان أحمد ماهر سيقتل.

فى المساء قبض عليه وقام البوليس بتفتيش منزله وقال دفاعه: إنه لم يقل ذلك وإنما قال بلهجته الصعيدية حجاشى بتشديد الجيم – يتجتل أحمد ماهر. ثم فسر مقصوده أنه مجرد تخمين منه.

وأفرجت النيابة عنه بعد أن تبين حسن نواياه.

محمود العيسوى اعترف بما قام به وأنكر أن له أى شريك وأنه قام بذلك لأن مصر ليس لها ناقة ولا جمل فى الحرب. ويجب عدم

الدخول فى هذا المعترك. ومن الأفضل لنا أن نظل على الحياد ونبتعد عن الإنجليز.

وحكى عن يوم الحادث أنه جلس على مقهى ريش بشارع سليمان باشا وبعدها قابل المهندس على فهمى - على فهمى الداغستانى وزير المواصلات فيما بعد. ثم دخل إلى مجلس الشعب بعد الاطلاع على كارنيه نقابة المحامين على أنه زائر لهذه الجلسة التاريخية.

ترافع عنه عميد كلية الحقوق على بدوى وكان تلميذه وحاول أن يحصل له على تخفيف الحكم على أساس أن الدافع للاغتيال سياسى وليس إجراميا لكن المحكمة لم تأخذ بهذا الدفاع وأرسلت أوراق القضية إلى فضيلة مفتى الديار الذى وافق على إعدامه.

وتم إعدام محمود العيسوى.

□□□

خلف أحمد باشا ماهر فى رياسة الحكومة محمود فهمى النقراشى باشا الذى أمر بإقامة تمثال له يربض حاليا أمام دار الأوبرا الجديدة وكذلك مدفن أمام مستشفى دار الشفاء.

أحمد ماهر هو جد وزير الخارجية الحالى أحمد ماهر السيد وعلى ماهر السيد سفيرنا فى باريس.

الشاعر الرقيق كامل الشناوى كان منتميا للحزب السعدى رثاه فى قصيدة طويلة:

تلفتت تسأل الأقدار عن عوض

فلم تجبها فصاحت آه يا ولدى

وكان الأمر فى شك ثم بددّه

أن العرين خلا من طلعة الأسد

□□□

خلَفه فى الحكم النقراشى باشا الذى اغتاله أيضا أحد شباب التنظيم السرى للاخوان عبد المجيد أحمد حسن عام ٤٩ أمام مبنى وزارة الداخلية.

⑲ فى عام ١٩٤٦

مكرم عبيد يصيح .. يسقط صدقى .. !

فى تاريخنا السياسى أكبر الأحزاب السياسية وأشهرها وأكثر تمثيلا للشعب هو حزب الوفد وذلك راجع إلى شعبية سعد باشا زغلول الكاسحة فقد كان له «كاريزما» وهى هبة من السماء يعطيها الله لمن يشاء من عباده.

من بين رجال سعد المخلصين كان مكرم عبيد الذى كان يُتفى معه. وهو محام من قنا يملك فصاحة لسان وقوة بيان ويستشهد – مع أنه قبطى – بآيات من الذكر الحكيم.

أضف إلى ذلك صوتا جَهْوريًا كأنه آت من أعماق الجبال يجلجل ويدوى فى الخطب السياسية وفى المحافل. وأيضا فى المحاكم فى القضايا التى يترافع فيها العمالقة من جيل المحامين الذين يشار إليهم بالبنان.

سعد زغلول خرج عليه أشخاص كثيرون ومن بينهم زعامات أمثال عبد العزيز باشا فهمى وإسماعيل صدقى باشا ومحمد على علوبة باشا.

كما خرج عليه من أطلق عليهم سعد باشا أنهم السبعة وثص.

والنُص هنا إشارة إلى على باشا الشمسى نظرا لقصره الشديد. وهو خال مباشر للسيد على صبرى نائب رئيس الجمهورية الأسبق وكان من بينهم أيضا كل من عدلى يكن باشا ، عبد العزيز فهمى، محمد محمود، عبد اللطيف المكباتى، لطفى السيد باشا.

هؤلاء شكلوا الإطار العام لحزب الأحرار الدستوريين وقد ضم عددا من الأثرياء أصحاب الأطيان الزراعية والإقطاعيات وممن يتباهون بانهم من عائلات قديمة ذات مجد تليد.

من بين الذين انفصلوا عن سعد باشا وانفضوا من حوله إسماعيل صدقى باشا أيضا وأنشأ حزبا أسماه حزب الشعب.

صدقى باشا لم يكن يؤمن بالشعب بالمرة وكان يصرح سرا أنه يهزأ ممّن يتحدث عن الشعب وكان يرى أن الشعب تجمعه زمارة وتفرقه عصا.

وإسماعيل صدقى من زفتى محافظة الغربية وإن شئت الدقة فهو من الغرِيّب بالتشديد وإن شئت أكثر فهو من عزبة الجحوش.

أبوه باشا محافظ القاهرة وخاله سيد أحمد باشا من الأعيان.

تربى فى المدارس الفرنسية فكان بالنسبة لرجال الوفد فى الخارج من أكثرهم ثقافة وتعليما ومعرفة باللغات الأجنبية فضلا عن ثرائه المالى وبالتالى لم يكن غريبا أن ينظر إلى رجال الوفد المصرى نظرة من أعلى.

وكانت الصحف حين تتحدث عن إسماعيل صدقى تسميه أبوالسباع - وهذه التسمية نسبه إلى الخديو إسماعيل الذى أقام كوبرى قصر النيل وفى كل جانب أسدين «والبعض يطلق على الأسد إنه سبع».

كما انفصل عن الوفد أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا وشكلا الحزب السعدى نسبة إلى سعد باشا تماما كما يفعل الناصريون الآن ويطلقون على حزبهم الناصرى نسبة إلى عبد الناصر.

□□□

سبق أن قلت: إن مكرم عبيد وأسمه الحقيقى وليم مكرم عبيد ثم ألغى اسم وليم واختصره.

أقول كان متمكنا من اللغة فصيحا إلى حد كبير مشرق الديباجة إذا ترافع اهتزت له المنابر لقوة بيانه.

حدث مرة أنه كان يترافع أمام محكمة الجنايات وأراد أن يعبث برئيس الوزراء صاحب الدولة اسماعيل باشا صدقى.

أراد أن يعبث به ولا يؤخذ عليه أى ماخذ فماذا قال؟

اصطنع حدوتة صغيرة وانتهى إلى أن قال مخاطبا المحكمة المشكّلة من السادة المستشارين.

قال : حضرات المستشارين، قلت الصدق فكذبتمونى قلت الكذب فصدقتمونى.

ماذا أقول :

يحيا كذبى وليسقط صدقى.

وكانت إشارة منه إلى أنه يهتف بسقوط رئيس الوزراء وضجت القاعة بالضحك من المشاهدين والمتقاضين. وقبل أن أختم أود أن أشير إلى أن صدقى باشا تولى رياسة الوزارة ثلاث مرات أعوام ١٩٣٠، ١٩٣٣، ١٩٤٦ ودخل صدقى باشا تاريخنا السياسى بأنه هو الذى ألغى دستور ٢٣ وأحلّ محله دستور ٣٠ الذى لم يستمر طويلا.

أما مكرم عبيد فقد دخل التاريخ السياسى بأنه أنشق على صديق عمره مصطفى النحاس باشا وألف كتابا عبارة عن عريضة موجهة منه إلى الملك فاروق وأسماه «الكتاب الأسود فى العهد الأسود» ندد فيه بحكم النحاس باشا وما فيه من مخالفات، بعضها تافه إلى حد كبير كقوله إن حرم النحاس باشا أدخلت - فراء - لها دون جمارك وكذلك ترقيات استثنائية لبعض أنصار الوفد.

لكن إلى جوار ذلك ينطوى الكتاب على أمور مالية وعمولات كبيرة لعدد من الصفقات الاستثمارية وعمولات تقدر بالملايين ويضاعف من قيمتها إذا قُورنت بأسعار اليوم.

عاقبه حزب الوفد بفصله من مجلس النواب وأعتقله ودارت الأيام وأصبح فى وزارة ائتلافية وأصبح وزيرا للمالية ووقف يخاطب رجال حزبه الذى أسماه الكتلة الوفدية وجعل شعاره الوفد مطهرا وكان ذلك فى عام ١٩٤٤.

قال لهم:

الحمد لله الذى جعلنى على خزائن الأرض أميرا بعد أن كنت فى زوايا الأسر سجينا..

يا سلام . . كانت أيام . .

⑳ فى عام ١٩٤٦

مصرع أحمد باشا حسنين فى حادث مدبر !

كان أحمد باشا حسنين نجما لامعا من النجوم وفارسا من الفرسان وفى أكثر من مجال. كان بكل المعانى- قضية!

لمع فى أكثر من سماء. سماء السياسة وفى سماء الرياضة بل وفى سماء الفن.

فى سماء السياسة لعب دورا فى حياة ملكين: أحمد فؤاد وفاروق.

وفى سماء الرياضة كان من أبرز لاعبى السيف (الشيش).

حتى الفن كان فيه نجما ساطعا ولامعا لأنه كان رئيس جمعية أنصار التمثيل والسينما.

أبوه شيخ من علماء الأزهر الشريف. لكن جده كان - فريقا - فى الجيش المصرى. ولد عام ١٨٨٩ وتعلم فى القاهرة وأرسله جده - إذ كان أبوه قد توفى - إلى اكسفورد وكان ذلك فى عام ١٩١٤.

ولما عاد إلى القاهرة كان مؤهلا لأن يكون حسب تعليمه مفتشا بوزارة الداخلية.

ونظرا لحبه وعشقه للرياضة فقد سافر كرئيس للوفد المصرى للألعاب الأوليمبية الذى انعقد فى - بروكسل - ببلجيكا.

حب المغامرات كان من طبيعته ولذلك استأذن أن يسافر إلى الصحراء يجوبها ليعد عنها كتابا. وتم له ما أراد.

وفى رحلته اكتشف واحتين هما - العوينات ولاركينو - ووضع عن رحلته كتابا أسماه «فى صحراء ليبيا».

عندما عاد لمصر وإثر اكتشافاته ورحلته التى لم يسبقه إليها أحد، قال الشاعر أحمد شوقى فيه:

أقدم فليس على الإقدام ممتنع

واصنع به المجد فانت البارع الصنع

لو أنصفتك الصحارى جئتنا ملكا

من الملوك عليك الريش والودع

فى عام ١٩٢٤ بدأ نجمه السياسى يبرز ويتشكل إذ اختاره الملك أحمد فؤاد أمينا له فى القصر الملكى.

ولم يمض زمن طويل حتى كان منصبه رئاسة الديوان الملكى.

فى عام ٣٥ قرر الملك فؤاد إرسال ابنه فاروق إلى إنجلترا للتعليم فانتدب له اثنين هما أحمد حسنين وعزيز المصرى.

فاروق كان سعيدا بصحبة أحمد حسنين وغير راض عن صحبة عزيز المصرى لأن الأخير كان يطالبه بتعلم ركوب الخيل والرياضة أما حسنين باشا فكان يسهر معه الليالى فى ملاهى لندن.

كان حسن المنظر حلو الشمائل وكانه من قصيدة الشاعر الشيخ الشبراوى والتى تغنيها أم كلثوم.

ويعجبنى فيك حسن القوام

ولين الكلام وفرط الأدب

والتى مطلعها:

وحقك أنت المنى والطلب

وأنت المراد وأنت الأرب

بوفاة الملك فؤاد وسرعة عودة فاروق ليتولى مجلس وصاية عليه – ثم بعد ذلك يتولى الملك – كان أمرا طبيعيا أن يفتح المجال أمام حسنين باشا رفيقه فى رحلة لندن فأصبح حسنين باشا رئيسا لديوان جلالة الملك وأصبح الآمر الناهى فى كل شئون البلاد وكنا قد وصلنا إلى عام ١٩٤٠.

لا أحد يعلم تماما من الذى بدأ المناورة هل كانت من ناحيته هو أو من ناحية الملكة نازلى لأن الذى حدث لا يمكن أن يتم بين يوم وليلة. بل لابد أن تكون قد سبقته أحاديث وحكايات ومشاريع. إن الزواج الذى تم بين الملكة نازلى وبين أحمد حسنين باشا لم يكن أمرا سهلا وبسيطا لأنها كانت الملكة الأم وابنها هو حاكم البلاد.

الذى ساعد على انتشار الخبر بين الأوساط المختلفة هو طلاق أحمد حسنين باشا من زوجته وكانت الأخيرة كلما سالها أحد عن سبب الطلاق أفصحت بأن زوجها على علاقة أكيدة بالملكة نازلى.

وكان لأحمد حسنين من زوجته - لطيفة هانم العبد - ولدان.

قال لنا كامل الشناوى إن أحمد حسنين كان صديقا لكثير من الصحفيين والفنانين أمثال سليمان نجيب وغيره من الممثلين. وكان من أسعد أوقات حياته حين يزور أحد المسارح ساعة البروفات.

وقال لنا كامل الشناوى: إنه - أى حسنين باشا - كان يطالب الصحفيين بالهجوم عليه وكان ذلك يسعد الملك فاروق. وفى عام ١٩٤٦ وتحديدا فى ١٩ فبراير كان أحمد باشا حسنين يستقل السيارة الحمراء الملكية ذات العجلات البيضاء. وعلى كوبرى قصر النيل دهمته سيارة تابعة للجيش الإنجليزى وانقلبت السيارة ونقل الباشا إلى المستشفى حيث توفى بعد ساعات.

كان عمره وقتها ٥٧ سنة. الحادث الذى جرى من القوات البريطانية استقبله الشارع السياسى المصرى بكثير من الشك والريبة على أنه حادث مدبر ومقصود. وليس الأمر قضاء وقدرا. وأصابع الاتهام تشير إلى السفارة البريطانية من جهة وكذلك إلى الملك فاروق من جهة أخرى.

(٢١) فى عام ١٩٤٧

كيف تم القبض على قاتل أمين عثمان؟!

أطلق حسين توفيق النار على أمين باشا عثمان عندما هم بالصعود إلى مبنى جمعية النهضة وهى جمعية موالية لبريطانيا.

أربع رصاصات أطلقها عليه وخرج مسرعا يجرى بشارع عدلى متجها إلى ميدان الأوبرا.

بعض المارة جروا خلفه لكنه أطلق عليهم قنبلة يدوية فتفرقوا ثم سار هادئا واستقل «الأوتوبيس» إلى مصر الجديدة ودخل المنزل ونام منتظرا الصباح فى قلق ليقرأ الأخبار.

صحف الصباح أعلنت عن اغتيال الوزير الوفدى أمين باشا عثمان. وأن البوليس يجرى البحث عن الفاعل وأعلن. عن مكافأة مالية ٥٠٠ جنيه لمن يرشد إلى أية معلومات توصل إلى الفاعل.

خمسة أيام بلياليها والقلم السياسى - المباحث العامة - يجد فى البحث للوصول إلى أى خيط.

فى طنطا تقدم رجل إلى مأمور القسم وقال إن لديه معلومات مؤكدة عن قاتل أمين عثمان. وإذ سئل عنه رفض الإفصاح إلا أمام النائب العام.

جرت اتصالات وقالت تحفظوا عليه وهاتوه.

جيء به إلى المحامى العام الذى ساله عن القاتل. فاجاب لا أعرف. وشرح أمره فإذا به عاطل عن العمل ويسكن طنطا وله أخت فى القاهرة حالتها ميسورة ويريد الوصول لها وفكر فى هذه الحيلة ليسافر بها القاهرة.

وجه إليه المحامى العام تهمة إزعاج السلطات وكانت اجابته أنه عاطل ويريد أن يأكل عيشا وعرض أمره على النائب العام فأمر بالإفراج عنه.

فجأة تقدم موظف بوزارة المواصلات إلى البوليس يحمل رواية أنه بينما كان واقفا أمام مبنى التلغراف بشارع عدلى لمح ابن وكيل وزارة المواصلات توفيق أحمد خارجا من المبنى الذى جرى فيه حادث إطلاق النار.

عندما سئل عن علاقته به نفى أية علاقة ولكنه قرر أنه يشاهده كثيرا فى وزارة المواصلات يأتى لوالده وقال: إنه ليس لديه أية معلومات عنه.

كان أمرا سهلا على البوليس أن يعرف سكن وكيل وزارة المواصلات توفيق أحمد فكل وزارة لم يكن بها سوى وكيل وزارة واحد.

عندما جن الليل كان عدد من رجال البوليس المسلحين يحاصرون الفيلا التى يسكن بها توفيق بك أحمد وفتشت تفتيشا دقيقا ولم يعثر على أى شىء يفيد الموضوع.

خطر لأحد رجال البوليس أن يصعد إلى السطوح فوجد ما لم يخطر على ذهن أحد.

زجاجات مولوتوف - تختة ضرب النار - مظروفات نارية فارغة - أكثر من بندقية - كميات من الذخيرة فى غرفة الغسيل.

سأل البوليس حسين توفيق عن الواقعة فأنكر معرفته بأى شىء وأضاف أنه لا يهتم بالسياسة وظل على هذا الحال عدة أيام.

فى هذه الفترة كانت تحريات المباحث ترى يوما بعد يوم. وقالت التحريات إن حسين توفيق رئيس تنظيم سرى يعادى الانجليز ويعتدى على رجالهم خصوصا فى المعادى بالليل وإن له شهرة فى إجادة ضرب النار وأفراد جمعيته من أقاربه، عدد كبير من أولاد خالته وكلهم من أولاد الذوات.

أضافت التقارير السرية أن هناك مع المجموعة شخصية غامضة ضابط جيش يدعى الحاج.

عندما اكتملت هذه العناصر من التحريات كان أمرا سهلا أن يقع حسين توفيق ولكن بحيلة ذكية.

قال له البوليس الذى أقام صداقة متينة معه مع معاملة حسنة قال أحدهم له متوددا.

الناس كلها تعرف أنه اغتال أمين عثمان والدافع معروف هو أن الباشا كان على علاقة مع السيدة والدته.

وهذا غير صحيح وافتراء من البوليس. ولكن الحيلة انطلت ونجحت تماما لأن حسين توفيق أخبره وبإسهاب شديد انهم شبان وطنيون وانهم يعادون الاستعمار وأن سبب اغتيال أمين عثمان انه كان شديد الحماس للانجليز وله قول نشرته الصحف.

– إنه يريد أن يعلن زواجا كاثوليكيا بين مصر وبريطانيا وانه بذلك كشف أنه عميل للاستعمار.

اندفاع حسين توفيق فى اعترافاته كان محاولة جادة لينفى ما سمعه من أقوال كاذبة عن والدته وتمس سمعة أسرته.

□□□

جمع البوليس الذين اعترف عنهم حسين توفيق وكانوا شقيقه وأولاد خالته أولاد المستشار فخرى نجيب وكذلك أولاد خالته كمال حبيشة وكذلك محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية فيما بعد.

وكان الغرباء عددا بسيطا للغاية مثل سعد كامل الصحفى فيما بعد - عبد الهادى مسعود - بدار الكتب فيما بعد، وطالب بالثانوى.

أما من أشارت التحريات إلى انه ضابط بالجيش ويدعى الحاج فكان اليوزباشى محمد أنور السادات.

وقالت الروايات: إن مجموعة حسين توفيق كانت تسهر أحيانا فى كابريه بديعة بميدان الأوبرا وهناك تعرفت بأنور السادات.

وإنهم وجدوا فيه صيدا ثمينا يستفيدون من خبرته فهو ضابط إشارة مفصول. ونفس الشىء وجده السادات فى هذه المجموعة فهم شبان متحمسون وطنيون وإنهم قنابل قابلة للانفجار وكل ما يحتاجون إليه هو التوجيه.

□□□

ضم قفص الاتهام هذه المجموعة وكلهم من الشباب صغير السن وجميعهم طلبة بالمدارس ولا يوجد بينهم خريج واحد باستثناء اليوزباشى أنور السادات الذى كان يكبرهم بعدة أعوام وكانت رتبته توضح ذلك.

قضية اغتيال أمين عثمان خلفت قضيتين غير معروفتين للكثيرين.

● الأولى محاولة خطف ملف القضية حين توجه به حاجب المحكمة على دراجة متوجها إلى قاضى المعارضات عطا الله إسماعيل بالحلمية.

اصطدم به عمدا اليوزباشى طيار حسن عزت بسيارته فوقع على الأرض وأسرع زميل حسن عزت محاولا جمع أوراق القضية لكن الجماهير بشارع محمد على حالت بينه وبين ذلك وقبض عليه ومعه زميله.

● الثانية محاولة الاعتداء على الشاهد الذى أدلى بمعلومات عن حسين توفيق وأدت إلى الايقاع بالتنظيم كله.

وكان يسكن فى حى المالية بلاظوغلى لكن الرصاصة أخطأته.

وكانت رسالة إليه واضحة ردا على ما فعل.

(٢٢) فى ١١ فبراير ١٩٤٩

اغتيال مرشد الإخوان حسن البنا

١١ فبراير:

أهمية هذا التاريخ فى حياتنا السياسية أنه كان عيد ميلاد الملك فاروق الأول ملك البلاد المعظم وأحيانا ملك البلاد المفدى.

وفى هذا اليوم اغتيل مرشد جماعة الإخوان الشيخ حسن البنا.

وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد ضاقت بها الحكومة لما قامت به من حوادث جنائية كبيرة.

● اغتيال رئيس وزراء مصر الدكتور أحمد ماهر عام ١٩٤٥ على يد محمود العيسوى، وكان من الإخوان، وكان له غطاء سياسى علنى فلقد أقر أنه من رجال الحزب الوطنى حزب مصطفى كامل. وآية ذلك أنه كان محاميا فى مكتب قطب الحزب الوطنى عبد الرحمن الرافعى.

● فى عام ١٩٤٨ اغتال عبد المجيد حسن عضو جماعة الإخوان رئيس وزراء مصر محمود فهمى النقراشى باشا. وكان ذلك ردا على قراره بحل جماعة الإخوان بعد أن أعد له مدير الأمن العام عبد الرحمن عمار مذكرة انتهت إلى طلب حل هذه الجماعة -

نظرا لما جرى من بعض أعضائها - وغلق دورها، وتحويل المركز العام بالحلمية إلى نقطة شرطة.

● اغتيال المستشار أحمد الخازندار أمام منزله بحى المعادى وكان قد حاكم بعض الإخوان.

● اغتيال اللواء سليم باشا زكى حكمدار العاصمة.

● وضع قنابل على محلات بعض اليهود مثل شيكوريل وبنزايون.

● محاولة نسف سينما مترو وكذلك سينما ميامى.

● محاولة نسف منزل سفيرنا فى لندن عبد الفتاح باشا عمرو وكان صديقا للملك فاروق.

● الاعتداء بالسكاكين على بعض خصوم الإخوان فى قرية - كرم النوه - بالدقهلية.

تضمنت مذكرة الأمن العام هذه الحوادث تفصيلا وأن مرتكبيها ينتسبون إلى جماعة الإخوان.

وجماعة الإخوان المسلمين أسسها الشيخ حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتى وشهرته الشيخ حسن البنا وذلك بالاشتراك مع الشيخ أحمد السكرى وهو رئيس جمعية صوفية اسمها جمعية «الحصافى بالمحمودية - البحيرة».

ومنذ تكونت الجمعية اتخذت لها مقرا فى البداية مدينة الاسماعيلية وتابع ذلك إنشاء العديد من الفروع لها.

منذ هذا التاريخ وحولها كلام ولغط.

البعض يرى أنها تقوم بخدمة جليلة للدين الإسلامى وتعلم الشباب أركانه ومبادئه وفضائله.

آخرون ينكرون عليها ذلك ودليلهم أنها اتخذت لها نشاطا عسكريا بإقامة تنظيم - الجوالة - وأسندته إلى نجيب جويفل ولبسوا القمصان «الكاكى» تشبها بالعسكريين.

كما أنهم أقاموا تنظيما سريا إرهابيا وأسندت رئاسته إلى عبد الرحمن السندى ولما قامت ثورة يوليو انضم - السندى - إلى عبد الناصر ورأى الشيخ الهضيبى بعد أن خلف الشيخ البنا أن ينشىء تنظيما سريا جديدا أسندت رئاسته إلى يوسف طلعت.

فى عبارة مختصرة: إن نشاط الإخوان لم يكن دينيا فقط وإنما كانت عيونهم مثبتة على الحكم. أى إن نشاطهم من الألف إلى الياء.. سياسى.

رحبت الصحف بحل الإخوان، وكان أكثر الكتاب انتقادا لهم الكاتب عباس العقاد الذى أسماهم - الحسابنة نسبة إلى حسن البنا.

عشرون يوما بالضبط مضت على قرار الحل وفوجىء الشارع السياسى باغتيال النقراشى باشا فى مدخل وزارة الداخلية على يد

شاب يرتدى ملابس ضابط شرطة ملازم أول ثم تبين انه طالب وينتمى إلى التنظيم السرى للإخوان.

بعد مرور ٤٣ يوما على اغتيال النقراشى باشا وفى ١١ فبراير من عام ٤٩ اغتيل الشيخ حسن البنا أثناء نزوله من جمعية الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى.

كانت الحكومة اعتقلت أعدادا كبيرة من جماعة الإخوان وفى مقدمتهم مكتب الإرشاد وتركت حسن البنا بدون اعتقال. وكان يتردد على مكتب قطب الحزب الوطنى القديم فتحى رضوان وكذلك الشبان المسلمين التى يرأسها صالح باشا حرب.

قال لى فتحى رضوان إن حسن البنا قال له.

-.. يبدو أن نهايته قربت. لأنه رأى رؤيا منامية. انه يقود ناقة وأثناء سيره اعترضه سيدنا أبو بكر وقال له.

- كفاية كده.

واستلم سيدنا أبو بكر الناقة منه وسار بها بعيدا.

ليلة الحادث أثناء نزول الشيخ البنا من دار الشبان المسلمين نادى عليه محمد الليثى سكرتير صالح باشا حرب قائلا: إن هناك من يريد محادثته على التليفون فعاد الشيخ البنا إلى المبنى من جديد ولكنه لم يجد أحدا يرد عليه.

وهناك من يرى أن ما جرى كان حيلة كى يستعد من انتووا اغتياله لاطلاق النار عليه.

رصاصات عديدة أطلقت عليه ونقل إلى مستشفى قصر العينى ولكن فاضت روحه إلى بارئها.

وانتقل رجال البوليس والنيابة وقيد الحادث ضد مجهول.

□□□

ولما قامت ثورة يوليو وكانت العلاقات حسنة للغاية بين رجال الثورة والإخوان أعيد التحقيق فى قضية اغتيال البنا وكان الأمر معروفا لدى الكثيرين.

قبض على الأميرلاى محمود عبد المجيد وكان قد رقى من مدير المباحث الجنائية بوزارة الداخلية إلى مدير جرجا.

اعترف بما جرى وارشد عن مخبرين ثلاثة كان انتدبهم من أسيوط إلى وزارة الداخلية للقيام بهذه المهمة.

كما تبين أن الأميرالاى محمد وصفى قائد حرس الوزارات انتحر فى مكتبه على أثر بدء التحقيق فى الحادث وكان له ضلع بالحادث.

محكمة الجنايات أصدرت الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على الأميرالاى عبد المجيد وكذلك المخبرين الثلاثة.

بعد حوالى عشر سنوات أصيب الأميرالاى عبد المجيد بالعمى وكف بصره فافرج عنه إفراجا صحيا وغادر السجن إلى منزله.

أيام قليلة وشاهد المارة جثة الأميرالاى عبد المجيد ممددة فى الشارع العمومى أمام المنزل.

وثار تساؤل فى الشارع السياسى هل اختل توازنه وهو كفيف.. فسقط من الشرفة؟ أو أن بعض الإخوان تسللوا إليه وألقوا به عنوة إلى الشارع؟

ويبقى السؤال دون جواب حتى الآن.

٢٣ فى عام ١٩٥٠

جماعة دينية تطالب باحراق الشيخ خالد

فى عام ٤٨ كانت تصدر (أخبار اليوم) يوم السبت. (وآخر لحظة) يوم الأربعاء وملحقه (بآخر ساعة). وكنت أرسل إلى الأستاذ مصطفى أمين قضايا وحوادث لينشرها. (ولم تكن جريدة الأخبار اليومية قد صدرت بعد).

كان ذلك يتم دون أن أراه أو حتى أعرف أين تقع أخبار اليوم.

وفى عام ٤٩ حدث أن تم اللقاء وكنت أتوجه إلى أخبار اليوم يوم الجمعة صباحا ويوم الثلاثاء لأقدم ما لدى من قضايا إلى الأستاذ محمد نجيب الذى تعهدنى من أول يوم ذهبت فيه إلى أخبار اليوم بالتعلم وكيفية كتابة الخبر.

الأستاذ نجيب هو والد المستشار الدكتور فتحى نجيب رئيس المحكمة الدستورية الآن.

فى هذا العام كنت أحلم كثيرا وأتساءل هل يأتى علىّ زمان ينشر فيه اسمى ولو ببنط صغير.

جاءت البشرى عام ١٩٥٠ فى أحد الأيام إذ فوجئت بعم صالح - الذى يقوم بتوزيع الصحف اليومية يقدم لى خطابا.

كانت رؤية عم صالح - تُفَرَّع - أى صحفى فهو مندوب الأستاذ مصطفى أمين وإذا جاءك ليقول إنه يسأل عنك فلابد أن تقول فى سرك:

«خير اللهم اجعله خير».

على العكس كان الخطاب يحمل خبرا سعيدا لى إذ كان موجها من الأستاذ مصطفى أمين لى لعمل موضوع حول خبر بمحكمة القاهرة.

الخبر يقول: إن المستشار حافظ شاهين رئيس محكمة القاهرة سينظر قضية مصادرة كتاب (من هنا نبدأ) لمؤلفه الأستاذ خالد محمد خالد. وفى آخر الخبر إن الأستاذ عبد المجيد نافع سيحضر مع الأستاذ خالد.

كان مطلوبا أن أكتب موضوعا عن هذا الخبر الصغير وياليتنى إذ سينشر اسمى لأول مرة.

❑❑❑

توجهت إلى الأستاذ عبد المجيد نافع وسألت عن عنوان الأستاذ خالد وعلمت أنه فى شارع محمد على وهو شارع طويل للغاية يبدأ من العتبة حتى القلعة وكيف الوصول إليه؟!

تحدثت مع الأستاذ محمد ثريا (وكانت تُنطق بالتاء) وكان عضو مجلس إدارة حزب مصر الفتاة وخبيرا بمعالم القاهرة من كثرة مطاردة البوليس له ومحاولات اختفائه.

كنت إلى جواره فى سيارته، وكان يتوقف وينزل منها ويسأل ثم يصعد مرة أخرى إلى أن وصلنا.

تبين لى أن شارع محمد على به سلالم تصعد عليها إلى المساكن تماما مثل كنيسة السكركير بباريس ذات السلالم المرتفعة من الشارع.

طرقت الباب ففتح لنا رجل وسيم عارى الرأس يلبس «بيجاما» والمفاجأة أنه نادانى باسمى وقال تفضلا. ظللت أتفرس فى وجهه كى أتذكر أين رأيته وكيف عرفنى ولكنى فشلت.

ووجد الحيرة على وجهى.

سألنى ألا تذكرنى؟.. قلت مبتسما: لا. قال إننى رأيتك عدة مرات مع الشيخ القصبجى.

هنا قفزت صورته إلى ذهنى وكانت مختلفة عن صورته الآن.

الشيخ القصبجى كان رجلا سعوديا يلبس العقال وله كتاب اسمه (هذه هى الأغلال) وصادرته الحكومة. وجاء إلى الأستاذ أحمد حسين ليحضر معه فى قضيته. وكنت أباشرها معه.

وكان يصاحبه رجل يلبس الجبة، ويطلق لحيته وعلى رأسه عمامة بدون زر - ويتفرع منها ذؤابه تتدلى على ظهره وفى جيبه مسواك يخرجه من وقت لآخر ويدلك به أسنانه.

أين هذه الصورة من الشخص الذى آراه أمامى الآن، رجل عارى الرأس حليق الذقن يلبس البيجاما.

خلاف شديد بين الأمس واليوم.

توجهت إلى أخبار اليوم وكتبت موضوعا عن الكتاب ومؤلفه بعد أن فهمت محتواه.

وذكرت أن بعض صحف الجماعات الدينية طالبت بوضع أكوام من الكتاب على شكل هرم ويوضع الشيخ خالد على قمتها ثم يوقد فى أسفل هذا التل من الكتب النار.

الأستاذ مصطفى أمين حين طالع الموضوع طالبنى بضرورة الحصول على صورة الأستاذ خالد لابسا العمامة وكنت قدمت صورته الحالية.

فى الأول رفض وأمام إصرارى وافق. وظهر الموضوع وبه صورتان الأولى بالعمامة واللحية والثانية بالبدلة وحليق اللحية.

□□□

المستشار حافظ نظر موضوع المصادرة وبعد مرافعة عبد المجيد نافع المحامى أصدر قراره بالإفراج عن كتاب (من هنا نبدأ) وكان أول كتب الأستاذ خالد وبعدها أصدر سلسلة من الكتب.

□□□

والأستاذ خالد شرقاوى من - العدوه - وهى غير العدوه - «الفيوم» وآخر اسمه ثابت. وأنشأ لأولاده مكتبة تحمل هذا الاسم بشارع إبراهيم باشا بالقرب من محكمة عابدين.

عندما نشر كتابا عن قصة حياته تحدث عنى - وأنى بشرت به.

فعلا كان أول موضوع نشرته الصحف عنه كما كان أول موضوع ينشر لى فى أخبار اليوم موقعًا باسمى.

يا سلام كانت أيام.

(٢٤) فى عام ١٩٥٠

تجريد الملكة نازلى من لقبها ومصادرة أملاكها

الملكة نازلي:

أبوها عبد الرحيم باشا صبرى، وتنتمى إلى الطبقة الأرستقراطية فى بلادنا، وأخوها شريف باشا صبرى أحد أوصياء العرش على ابنها فاروق.

تزوجت أحمد فؤاد فى عام ١٩١٩ وأصبحت سلطانة حين كان سلطانا، ثم ملكة حين تغير لقبه وأصبح على البلاد ملكا، وتوفيت عن ٨٣ عاما بالولايات المتحدة الأمريكية.

وأنجبت منه عدة بنات، أصغرهن الأميرة فتحية، وأيضا فاروق الذى تولى الملك بعد وفاة أحمد فؤاد فى عام ١٩٣٦ ولم تكن الزوجة الأولى للملك فقد كان له زواج سابق من الأميرة شويكار وأنجب منها الأميرة فوقية زوجة محمود باشا فخرى سفيرنا فى فرنسا.

بعد وفاة الملك فؤاد بسنين قليلة.. نمى إلى علم الملك فاروق أن أمه قد تزوجت سرا أحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكى بعد أن طلق زوجته أم أولاده، وغضب فاروق عليها، لكنه كظم غيظه وسكت عليها.

فى بدء حياتها الزوجية مع الملك فؤاد راجت حولها إشاعات سيئة كان من نتيجتها أن الشاعر بيرم التونسى كتب عنها شعرا تداوله الناس وفيه يقول:

الناحية قبل السفر.. مفتوحة.

والوزة قبل الفرح مدبوحة.

الشاعر بيرم التونسى والذى كان الشاعر أحمد شوقى يخاف على اللغة العربية الفصحى منه لأن شعره باللغة العامية كان يحظى بإعجاب الناس عامة.

بيرم فى كلامه عن - الوزة المدبوحة - كان إسقاطا على أن نازلى لم تكن عند زواجها عذراء بل كانت لها علاقة سابقة بالملك.

من أجل ذلك حين تداول الناس هذا الشعر العامى وفهم المقصود منه أمر الملك فؤاد بنفى بيرم إلى خارج البلاد. وساعد ذلك على سرعة انتشار هذا الزجل العامى ضد فؤاد ونازلى.

يقول القريبون من القصر الملكى: إن الملكة نازلى عاشت مع الملك فؤاد عيشة ضنكا فلدى الجماهير هى ملكة وسيدة البلاد. وفى حقيقة الأمر كانت أسيرة وجارية فى القصر. وكان فؤاد يؤذيها ويعتدى عليها أحيانا بالضرب. كما أن إحدى عشيقاته كانت تقيم معها فى القصر وكان فؤاد يتردد عليها.

لم تسترد نازلى حريتها ويهدأ بالها إلا بعد وفاة الملك فؤاد وكان أول قرار صدر هو طرد هذه العشيقة الإيطالية من القصر ثم بعد ذلك من البلاد بأسرها.

قبل قيام ثورة يوليو حزمت الملكة نازلى حقائبها واصطحبت صغرى بناتها الأميرة فتحية معها وسافرتا إلى أوروبا.

فى باريس كان لقاء مع شاب من الخارجية، وسيم الطلعة، يمتاز بحسن التصرف. اسمه رياض غالى ما إن رأته الملكة نازلى حتى بادرها بقوله إنها أى الملكة نازلى أتت معها بدفء القاهرة وشمسها. وأعجبت الملكة بلباقته وطلبت من السفارة المصرية أن يكون هذا الشاب رفيق رحلتها.

وفى ٢٥ مايو من عام ١٩٥٠ فوجئت الأسرة العلوية بل فوجئت البلاد بعقد زواج رياض غالى - بعد أن أعلن إسلامه - على الأميرة فتحية وقام بعقد القران شيخ باكستانى وتم الزواج بعد انتقال الجميع إلى أمريكا وتحديدا سان فرانسيسكو.

بعد ذلك بأيام صدر أمر ملكى يحمل رقم ٢٨ عام ١٩٥٠ يقضى بحرمان فتحية من لقب الأميرة وما يتبع ذلك من حقوق. وشطب اسمها من سجل الأميرات. ولم يمض وقت طويل من نفس العام حتى أصدر مجلس البلاط الملكى قرارا بالحجر على الملكة نازلى وتعيين نجيب باشا سالم ناظر الخاصة الملكية قيما عليها لإدارة أملاكها.

وكان الملك فاروق قد أصدر أمرا ملكيا بتجريدها من لقبها وما يتبع ذلك من حقوق.

أحد شوارع القاهرة كان يحمل اسمها (الملكة نازلى) ثم أصبح شارع الملكة فقط. وبعد الثورة أصبح اسمه شارع رمسيس.

قدرت ثروتها بثلاثة ملايين جنيه و ٨٥٠ ألف جنيه خلاف الحلى والمجوهرات والتحف التى كانت تقتنيها. وفى عام ١٩٥٣ أقام الدكتور زهير جرانة المحامى دعوى لإلغاء الحجر عليها واستغرقت القضية عدة جلسات وفى كل جلسة كانت هيئة المحكمة تطلب حضورها لمناقشتها. وإذ قررت عدم العودة حكمت المحكمة برفض طلب رفع الحجر عليها.

خلال هذه الفترة كان رياض غالى زوج فتحية قد استدان من البنوك مبالغ طائلة بتوكيل لديه من نازلى وفتحية الأمر الذى انتهى بإشهار إفلاسهما.

عند إشهار إفلاس نازلى انحصرت أملاكها فى ٥ سيارات مرسيدس ومهر عربى قيمته تصل إلى ٥٠٠٠ دولار ومجوهرات وتحف تقدر بأكثر من ٢ مليون دولار.

لكن الديون التى تراكمت كانت تفوق ما سبق. لأن الديون كانت تصاحبها فوائد سنوية لم تكن تدفع فتراكمت.

وفى عام ١٩٧٦ أشهِرَ إفلاس – نازلى – وكانت قد اعتنقت الديانة المسيحية عام ١٩٥٨ وأصبحت تتردد على الكنيسة.

رياض غالى أنجب من زوجته فتحية ولدين تجنسا بالجنسية الأمريكية. وكان قد أدمن الشرب. وفى إحدى الليالى قامت مشادة بينه وبين زوجته فتحية فأطلق عليها النار كما أطلق أيضا النار على نفسه. وماتت فتحية على الفور، وأما هو فنقل إلى المستشفى ومنها إلى السجن.

فى يوليو عام ١٩٧٨ توفيت نازلى فى الولايات المتحدة ودفنت فى مدافن المسيحيين.

بذلك أغلق ملف فتاة من أجمل فتيات الأسرة الراقية الأرستقراطية التى كانت تتعادل مع بنات الأسرة المالكة من الأميرات بل وتتنافس معهن.

عاشت عمرا فى القصر يراها الناس ملكة على البلاد، وفى الحقيقة تبكى سوء حظها وسواد ليلها فلم تكن سوى أسيرة فى القصر الملكى تنجب الأولاد للملك فؤاد. ولم تسترد حريتها وتعود لها شخصيتها إلا بعد إعلان وفاة الملك عام ١٩٣٦.

وقد مارست هذه الحرية - ربما من تأثير السنين الماضية - بشكل واسع إلى الحد أن بدا أحيانا غير مقبول وربما طائشا.

ثم كشرت السنون عن أنيابها لها وأدارت الأيام لها ظهرها إذ فقدت لقبها وكذلك سمعتها ثم ضاعت منها ثروتها واستمعت بأذنيها إلى قرار إعلان إفلاسها كما استمعت قبل ذلك بفترة طويلة

إلى إعلان خروج ابنها الوحيد من البلاد وسقوط نظام أسرة محمد على الملكى وإعلان النظام الجمهورى وكان ذلك عام ١٩٥٣.

ويعيد التاريخ نفسه فأحمد فؤاد الثانى تزوج يهودية بعد أن أسلمت وأسمت نفسها «فضيلة» والآن تم بينهما الطلاق، وارتدت «فضيلة» إلى ديانتها الأصلية، وهى فى طريقها لأن تحصل على جواز سفر إسرائيلى.

㉕ فى عام ١٩٥١

برقية من عمرو باشا تفضح فاروق !

٢٣ يوليو ٥٢ قامت ثورة يوليو.

فى – وفى ٢٦ يوليو غادر الملك فاروق المحروسة على ظهر اليخت الملكى متجها إلى إيطاليا.

وفى عام ٥٣ أعلن الجيش انتهاء النظام الملكى وأعلن النظام الجمهورى.

وقد حدثنى أحد رؤساء نيابة عابدين: أنه قام وانتقل إلى قصر عابدين بتكليف من النائب العام فى عام ٥٣ وقام بتفتيش مكتب الملك فاروق.

وقال لى:

المكتب كان به خزانة حديدية بارتفاع الرجل وعندما أردنا فتحها تبين أن أحد نسخ المفاتيح مع انطون بوللى، وهو ايطالى كان خادما خاصا للملك، والذى طلب أن يصحبه حين مغادرة البلاد، ولكن بوللى تلكأ. وفضل الإقامة فى مصر وافتتح فى مصر الجديدة محلا للمخبوزات باتيه وكرواسون وغيرها.

فتحت الخزانة وتم جردها.

الكلام لرئيس نيابة عابدين الأسبق.

– وجدنا برقية مُشفّرة وردت إلى وزارة الخارجية، ومرسلها سفيرنا فى لندن عبد الفتاح باشا عمرو فى عام ١٩٥١، وهو أحد أبطال العالم فى رياضة الاسكواش.

البرقية تاريخها عام ١٩٥١ وبالشفرة، ومرسلة من سفارة لندن إلى وزارة الخارجية.

بعد فك رموزها.

البرقية تقول:

– إن الحكومة البريطانية منزعجة مما يجرى فى مصر من أحداث ورغبة الملك فاروق فى تصفية خصومه جسديا.

وتضيف البرقية: إن هذا السلاح له حدان فهو فعلا يخلص الملك من خصومه باغتيالهم. لكن هذا الاغتيال يترك خلفه ذيولا لأهل المجنى عليه. وكذلك لدى أنصاره ليتحولوا إلى خصوم ورغبة أكيدة فى الانتقام مستقبلا.

البرقية للسفير المصرى تبلغ الملك أن لدى الحكومة البريطانية علما بأن الملك فاروق أنشأ حرسا خاصا سريا بل ولديها اسمه «الحرس الحديدى» وهو مكون من عدد من الضباط وأيضا المدنيين الذين يحرسون الملك حراسة سرية خاصة. خلاف الحرس العلنى العام المكون من الضباط وعساكر السراى الملكية العلنيين المعروفين.

كشفت التحريات للإنجليز أن الملك فاروق استعان بهذا الحرس الحديدى لقتل أحد ضباط الحرس الملكى هو اليوزباشى عبد القادر طه فى شارع المقياس بحى الروضة.

انتهى قول البرقية ومن عندى أقول:

عبد القادر طه هو شقيق أحد النواب المعروفين أحمد طه وهو نائب الساحل لعدة دورات.

أيضا هذا الحرس الحديدى اغتال حسن البنا أمام جمعية الشبان المسلمين يوم عيد ميلاد الملك فاروق يوم ١١ فبراير.

يومها قالت الشرطة أن الفاعل مجهول. وجاءت النيابة بما سبق قوله وقيد الحادث ضد مجهول.

لكن بعد قيام ثورة يوليو أعيد التحقيق وقبض على الفاعلين الأميرالاى محمود عبد المجيد وثلاثة مخبرين.

عندما بدأ التحقيق فى القضية انتحر الأميرالاى محمد وصفى قائد حرس الوزارات فى مكتبه.

كان دوره أنه هو الذى قدم للفاعلين سيارتين من السيارات التى تحت يده للتحرك بهما لتنفيذ المهمة.

وكان الشيخ حسن البنا كثير التردد على صالح باشا حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى الذى غيره فاروق

بعد غضبه على أمه فأصبح شارع الملكة فقط.. والذى غيرته ثورة يوليو فأصبح الآن شارع رمسيس.

وفى اليوم الموعود تربص له المتهمون وإذ هم بالنزول على سلالم دار الشبان المسلمين ناداه محمد الليثى سكرتير صالح باشا حرب وأخبره أن له تليفونا يسأل عنه فعاد أدراجه ودخل المبنى وأمسك بالتليفون وحاول أن يعرف من يسأل عنه. لكنه لم يجد إجابة فنزل من جديد وكان إلى جواره صهره عبد الكريم منصور المحامى.

أثناء عودته للداخل وخروجه استعد له الجناة وحددوا هدفهم.

الغريب أن الشيخ حسن البنا والذى وقع بينه وبين حكومة وزارة النقراشى باشا صدام عنيف لم يأخذ حذره ويلزم بيته. إذ كان كثير الخروج فأعطى خصومه فرصة منه.

□□□

اغتيال الشيخ حسن البنا له أكثر من ذيل.

● سعى الإخوان حول محمد الليثى الذى نادى على الشيخ البنا هل كان على علم مسبق بالحادث او لا؟

● سعى الإخوان أيضا حول الدكتور محمد الزنينى الذى استقبل حسن البنا فى القصر العينى مصابا هل أدى واجبه نحوه أو تراخى فى إنقاذه؟

● بعد الحكم على الأميرالاى عبد المجيد – وكان وقت الحادث مدير المباحث الجنائية أما عند القبض عليه بعد الثورة فكان مديرا لمديرية جرجا وبعد الحكم عليه – بخمسة عشر عاما حدث أن كف بصره فى السجن أى صار أعمى فافرج عنه صحيا وإذ خرج إلى بيته وجدت جثته ملقاة فى الطريق العام بعد الإفراج عنه بأيام قليلة وجرت تساؤلات هل اختل توازنه فسقط فى الشارع من البلكونة أو ألقاه البعض عنوة انتقاما منه ومما جرى على يديه؟ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

نعود إلى موضوعنا.

ماذا فعل الملك فاروق بالبرقية التى جاءته من وزارة الخارجية المصرية هل اتخذ أى إجراء؟ البادى أنه لم يتخذ أى شىء بل ربما لم يقرأها وأودعها فى الخزينة كما جاءته.

سؤال:

بعد ثورة يوليو وقد انكشف نظام الحرس الحديدى ما الذى جرى لأعضائه وأى إجراء اتخذ ضدهم؟

الجواب لا شىء بالمرة.

بل هناك من تولى منهم مناصب هامة وليسوا واحدا بل أكثر.

(٢٦) فى عام ١٩٥٣

محكمة الجنايات برأت المتهمين فى قضيـة الأسلحـة الفاسـدة

على إثر هزيمة مصر فى حربها مع إسرائيل عام ٤٨ انتشرت شائعات أن الأسلحة التى استخدمت فى الحرب كانت فاسدة، وأن الذخيرة كانت تنطلق أحيانا بالعكس أى على عكس الهدف المنوط به إطلاقها.

والقوات المسلحة النظامية سبقتها كتائب شعبية من الإخوان المسلمين بقيادة الشيخ حسن البنا، وأعضاء الحزب الاشتراكى برئاسة أحمد حسين، والحزب الوطنى بقيادة فتحى رضوان، وكانت هذه الكتائب الشعبية التى سبقت القوات المسلحة تضم أحيانا بعض ضباط الجيش من المتطوعين وكانت هذه الكتائب تناوش قوات اليهود.

وتقول روايات كثيرة: إن مصر لم تكن مستعدة لهذه الحرب وإن - النقراشى باشا رئيس الوزراء كان معترضا لكن الملك فاروق كان على النقيض من ذلك وكان مصمما بل وودع أول كتيبة وأطلق من مسدسه عيارا ناريا فى الفضاء.

بعد الهزيمة أخذ الكاتب إحسان عبد القدوس بنشر سلسلة من المقالات فى مجلة روزاليوسف عن أسرار الأسلحة الفاسدة التى منيت بها البلاد إثر اتفاقات مالية مشبوهة.

وارتفع توزيع مجلة روزاليوسف بشكل واسع، وساعد على رواجها أنها كثيرا ما كانت تصادر من البوليس كما تعرض عبد القدوس نفسه لاعتداء باليد عليه من أنصار عباس حليم إثر خروجه ليلاً من محل (ارميتاج) أسفل عمارة ايموبليا.

ثم كانت هناك قضية أمام النيابة وأحالتها إلى محكمة الجنايات.

وأسدل الستار على ما مضى باعتبارها تاريخا مضى وانقضى وجدّت حوادث أكثر أهمية من تلك بكثير.

لكن تلك الأيام انتشرت أقوال تقول: إن موضوع الأسلحة الفاسدة خلال فترة حرب فلسطين عام ٤٨ كانت مجرد شائعات وأقوال مكذوبة لم يكن لذلك أى أساس.

ويستند رواة الترويج لما سبق أن القضية المشار إليها قد حكم فيها ببراءة جميع المتهمين وتم ذلك لا فى عهد الملك حتى يمكن أن تساورنا بعض الظنون أو الشكوك وإنما حكم البراءة صدر فى عهد الثورة بعد عام ٥٢ مع أن التحقيقات جرت فى عهد الملك فاروق.

والذين يَرَوْنَ أن الأسلحة الفاسدة لم تكن سوى أكذوبة يرون أن سبب الترويج لها هو أن تكون ذريعة للقوات المسلحة كسبب لهزيمتها.

فما هى الحكاية وما الذى جرى؟

محكمة القاهرة الابتدائية بباب الخلق انقسمت من عدة سنوات إلى شمال وجنوب.

وبمحكمة القاهرة بحى العباسية أنشئت وزارة العدل مركزا للدراسات القضائية، ويضم هذا المركز أشهر القضايا فى تاريخنا، وتستطيع أن تطلع على ما تشاء منها، بل ويمكنك أن تحصل على صور ضوئية لما تحتويه هذه القضايا على أن العاملين بهذا المركز يتبعون مؤسسة الأهرام قسم الكمبيوتر، والخدمة فيه طبعا ليست مجانية لكن برسوم مالية زهيدة.

إذا اطلعنا على أوراق الجناية رقم ٥٨١ سنة ١٩٥١ - الوايلى فستجد بها ما يلى:

أولا: أوراق هذه القضية بلغت سبعة وثلاثين ألف صفحة وشهد فيها ٦٢ شاهدا منهم على سبيل المثال الفريق عثمان المهدى والرائد مصطفى لطفى والرائد نصر الدين رياض طه واللواء أمين رفعت وحسن فهمى رجب واللواء محفوظ ندا واللواء محمد شريف.. وغيرهم.

ثانيا: المحققون بلغوا ١٣ عضوا من النيابة العامة أذكر منهم: محمد عزمى - على نور الدين - عباس بدر - أحمد موافى - عدلى بغدادى - أحمد فتحى مرسى - مصطفى الهلباوى.

ثالثا: المتهمون كانوا:

توفيق باشا أحمد – اللواء إبراهيم سعد الدين المسيرى – مدير سلاح المهندسين ورئيس لجنة الاحتياجات للقوات المسلحة – بكباشى مصطفى شديد – النبيل عباس حليم من الأسرة المالكة.

فى ٥١/٥/٧ طلبت النيابة العامة إحالة المتهمين إلى قاضى الإحالة ونسبت إليهم التهم التالية:

● سهلوا لشركة أورليكون وللنبيل عباس حليم أن يدخل فى ذمتهم مبلغ ٦٠٠,٠٠٠ ستمائة ألف دولار من أموال الدولة لفتح اعتماد بسويسرا لشراء أسلحة من الحكومة السويسرية مع علمهم بان هذه الأسلحة قديمة وغير صالحة.

● التزوير فى أوراق رسمية بإغفال ذكر أن أموالا – حولت – إلى عبد اللطيف أبو رجيلة ثم إلى عباس حليم.

● إدخال الغش الذى أدى إلى حصول شركة أورليكون والنبيل عباس حليم على أموال بغير حق ولا يستحقونها، وقد تسبب ذلك فى أضرار للحكومة المصرية.

● اشترك بعض هؤلاء المتهمين وحددتهم بالاسم فى مساعدة الكونت بانزولينى رئيس شركة – كوستروزيدنى – فى إساءة صنع ذخائر مما يستعمل فى الدفاع عن البلاد، وقد أدى ذلك إلى تعريض القوات المسلحة إلى أضرار جسيمة.

● بعض المتهمين وسمتهم بالاسم ارتكب جريمة تزوير وذلك بأن حرر تقارير أثبت فيها أنه أجرى تجربة على قنبلة يدوية مستوردة من إيطاليا وأسفرت التجربة عن نجاحها وكان ذلك على خلاف الحقيقة.

● نسب إلى بعض المتهمين وسماهم بالاسم أنهم حالة كونهم موظفين عموميين ارتكبوا تزويرا فى محررات رسمية أثبتوا فيها معاينة ٥٠٠ طلقة من الذخيرة المعروضة وتم اختبارها وثبتت صلاحيتها وكان ذلك على غير الحقيقة ومع علمهم بذلك.

قاضى الإحالة أحال جميع المتهمين إلى محكمة الجنايات وكان ذلك عام ١٩٥١.

● وفى ١٠ يونيو عام ١٩٥٣ أصدرت محكمة الجنايات برياسة المستشار كامل ثابت وعضوية المستشارين أحمد مختار وكامل البهنساوى الحكم ببراءة جميع المتهمين.

□□□

دائما نقول:

الوقائع مقدسة لكن الرأى حر.

مقتضى ما تقدم أن الوقائع على رغم أنه لا خلاف عليها فالبعض يرى أنه طالما أن القضاء حكم ببراءة جميع المتهمين فهذا

معناه فى نظرهم أن موضوع الأسلحة الفاسدة كان أمرا وهميا ووراءه أغراض شخصية.

من ناحيتى أقول غير ذلك:

وجه النظر هذه غير صحيحة بدليل أنه لو ضبط البوليس رجلا واتهمه بقتل زوجته وخنقها وعرض أمره على النيابة فأحالته إلى القاضى.

هل إذا حكم القاضى ببراءة الرجل هل هذا معناه أنه لم تكن هناك امرأة ماتت مخنوقة؟

فبراءة الرجل ليس معناها أن الفعل المنسوب إليه غير صحيح، فقد يكون غيره هو المتسبب، وقد تكون البراءة لعدم كفاية الأدلة، ذلك لأن الشك - مجرد الشك - يفسر لصالح المتهم ويقضى القاضى بالبراءة.

القاضى الجنائى يحتاج إلى دليل يقينى وليس ظنيا فإذا تسرب الشك إلى وجدان القاضى نطق بالبراءة.

(٢٧) فى عام ١٩٥٤

١٢٠٠ جنيه مشروب أناناس لوفد أجنبى !

شارع سليمان باشا والذى تغير أخيرا وأصبح شارع طلعت حرب باشا ورفع تمثال سليمان باشا الفرنساوى وحل محله طلعت باشا حرب.

هذا التغيير لم أستوعبه فكلاهما صاحب فضل على بلادنا، لكن ليس هذا موضوعنا الآن.

فى هذا الشارع تقع عمارة عالية من أدوار ثمانية مدخلها ليس على الشارع بل لها حوش واسع وعريض وهى عمارة جريشام ملاصقة لسينما راديو هذه العمارة احتلتها مصلحة الاستعلامات.

فى هذه العمارة وتحديدا فى الدور السادس منها ظللت أكثر من عام أتردد عليها صباح كل يوم فقد كنت وكيلا للنيابة الإدارية ولى غرفة بها.

مصلحة الاستعلامات وهى مصلحة استحدثتها ثورة يوليو وهى قطاع من وزارة جديدة علينا أيضا وهى وزارة الإرشاد التى أصبحت وزارة الإعلام فيما بعد.

وزارة الإرشاد كانت تتبعها ثلاث مصالح: الإذاعة والاستعلامات والسياحة.

والنيابة الإدارية كانت نظاما جديدًا للتحقيقات ابتكرته ثورة يوليو وإن شئت الدقة فهى فكرة فتحى رضوان وزير الدولة فى أول حكم الثورة.

كان مقتضاها أن تحل النيابة الإدارية محل إدارات التحقيقات فى الوزارات وهى التى بحكم أن موظفيها من العاملين فى الوزارة فهى تخضع بالتالى لكبار المسئولين فى الوزارات.

فأنشئ نظام النيابة الإدارية ليصبح رجالها من غير العاملين فى الجهة التى يعملون بها فيكون لهم الاستقلال فى الرأى ومن ناحية أخرى يكون لهم الحق فى مساءلة كبار العاملين بلا خوف منهم لأنهم يتبعونهم.

النيابة الإدارية أيامها كان مديرها العام المستشار محمد سلامة الذى عمل وزيرًا للعدل عام٧٢ اما وزير النيابة الإدارية فكان السيد على صبرى وزير الدولة فى رياسة الجمهورية والذى أصبح نائبا لرئيس الجمهورية فيما بعد.

□□□

فى الدور السادس بعمارة جريشام كانت شقة بها أربع غرف واحدة بها حمدى حافظ والثانية وكيل مصلحة الاستعلامات والثالثة فتحى بركات مدير الشئون القانونية والرابعة سكرتارية للجميع.

والدور الثامن وهو الأخير كان به عبد القادر حاتم وكان ضابطا سابقا بسلاح خدمة الجيش ولما قامت الثورة عمل مديرا لمكتب عبدالناصر ثم تولى إدارة مصلحة الاستعلامات.

فى أحد الأيام أحال لى عبدالقادر حاتم بلاغا قدمه له مدير الحسابات وكان اسمه سعيدا يتهم فيه حمدى حافظ وكيل عام المصلحة بأنه زور فى حسابات إقامة وفد أمريكى استضافته القاهرة ونزل أسبوعا فى أوتيل سميراميس على النيل.

حدد البلاغ المقدم التزوير بأنه أعطى سعرا لطعام الغداء أعلى من السعر المعتمد فى الأوتيل وكذلك فى سعر العشاء وهذه أسعار محددة.

حمدى حافظ كان يسبقنا فى التخرج بأكثر من عشر سنوات وكان قاضيا للأحداث وحصل على دبلوم من أمريكا فى هذا الفرع وهو شرقاوى من قرية حوض نجيح. وله ثلاثة أخوة ضباط وكان عَرَبًا، محبا للحياة، ويهوى الكتابة فى الصحف وله أكثر من كتاب من تأليفه عن قضايا عالمية.

من غرفتى توجهت إلى غرفة حمدى حافظ وهمست فى أذنه بأنه مطلوب للتحقيق فاشاح بيده ظنا أنى أمزح معه.

ولما أفهمته الموضوع تفصيلا أخذ الموضوع مأخذ الجد وطلب التوجه معى إلى مكتبى وأحضرت كاتب التحقيق.

أطلعته على الشكوى وبدأ التحقيق سين وجيم ووجدته هادئا مبتسما مطمئنا غير مبال.

شرح موقفه الذى يتلخص فى أنه كان مطلوبا منه أن يقدم لهذا الوفد الأجنبى مشروبات روحية أى كحولية وفعل ذلك ثم أضاف: إن التعليمات الحكومية تمنع صرف مقابل مشروبات كحولية فما كان منه إلا أن أضاف ثمنها إلى مقابل ثمن الغداء وأيضا مقابل ثمن العشاء.

وبالتالى ليس فى الأمر - كما قالت الشكوى - غش أو تزوير وضحك وقال وما مصلحتى أن أقدم لأوتيل الناسيونال مقابلا أكثر من الحقيقة.

سألت المرافق للوفد عما إذا كان الوفد الأجنبى قد شرب كحولاً أثناء ضيافته فأجاب بالإيجاب وأضاف ضاحكا ظهرا وليلا.

وعدت اسأل مقدم الشكوى سؤالا محددا هل لو قدمت لك فاتورة حساب بمشروبات كحولية هل تصرفها؟

وكانت إجابته:

- الثورة بعد قيامها ألغت هذه الموافقة بالنسبة للحفلات الرسمية.

- ثم قدم حمدى حافظ مذكره وقدمها إلى عبد القادر حاتم يستبدل فيها ورقة الحساب الأولى والتى تضمنت زيادة فى بدل

الطعام أو الغداء وقدم ورقة الحساب المنضبط كما قدم ورقة أخرى بأن الوفد الأجنبى قد شرب أناناسًا بمبلغ ١٢٠٠ جنيه.

وأعتمدها مدير الحسابات على الفور.

لملمت أوراقى وأعددت مذكرة بحفظ الشكوى ولكن الموضوع لم يمر بسهولة.

أعترض رئيس النيابة الذى أتبعه على مذكرتى وقال: إن الخطأ خطأ. وقد قدم حمدى حافظ بخط يده ورقة مزورة ويستاهل العقاب بصرف النظر عما تبعها من إجراءات.

أمام الخلاف بينى وبينه كان اللجوء إلى المستشار محمد سلامة مدير عام النيابة الإدارية وكان مكتبه فى مجلس النواب المعطل أيامها.

شرحت الموضوع وبينت وجهة نظرى وكذلك وجهة نظر رئيس النيابة المعترض على مذكرتى.

وأشر المستشار سلامة بحفظ الشكوى.

واستمعت منه أيامها لأول مرة للفظ جديد بالنسبة لى هو.. الملاءمة..

يا سلام كانت أيام .

(٢٨) فى عام ١٩٦٢

براءة عبد الحليم حافظ من إهانة صلاح نظمى

كنا فى عام ١٩٥٣ وربما عام ١٩٥٤.

وكنا جماعة مختلفى المذاهب والمشارب. يجمعنا أمران: أننا نعمل فى دار أخبار اليوم وبيننا قدر مشترك آخر هو حبنا الشديد وإعجابنا الكبير بكامل بك أقصد الشاعر الرقيق والكاتب الجميل وبطل ذلك الزمان.. كامل الشناوى.

قدر مشترك آخر بيننا كان حبنا للطرب والغناء وكان له صوت جميل يغنى مثل من؟ أنيس منصور وعلى حمدى الجمال.

اجتمعنا مساء فى منزل على النيل منزل توفيق بحرى سكرتير تحرير آخر ساعة وكان الوحيد بيننا الذى له سكن خاص لأنه متزوج بينما جميعنا - عزاب.

بحرى كان متزوجا من فتاة لبنانية - هى دوللى.. وهى بلديات المطربة جانيت فغالى التى اشتهرت بأنها صباح وهى بلديات زوجته لأنها من جبل لبنان بدادون.

اجتمعنا لنسمع مطربا شابا حديثا اسمه عبدالحليم شبانة عرف فيما بعد بأنه عبد الحليم حافظ نسبة إلى المذيع الذى تبناه وهو حافظ عبد الوهاب.

وهو شرقاوى من قرية الحلوات وأمه من أسرة كبيرة - عماشة- من قرية مجاورة - كفر موسى شاويش وكان منهم أحد كبار المحامين فى ذلك الزمان.

يومها غنى عبد الحليم أغنيتين.. «صافينى مرة وجافينى مرة» وأغنية أخرى.. «بتقوللى بكرة قلبك حيعطف وفى كل مرة توعد وتخلف».

كان معه يدق على العود زميله محمد الموجى..

هذه كانت المرة الأولى التى شاهدنا فيها عبدالحليم حافظ يغنى ولم يكن قد حصل بعد على الشهرة الفائقة.

□□□

تجرى السنوات بسرعة ونصل إلى عام ٦٢ وكانت إذاعة الشرق الأوسط تذيع برنامجا من إعداد مفيد فوزى وتقدمه ثناء منصور وكان رمضان وكان الضيف المسئول هو عبد الحليم حافظ.

ثناء منصور سألت عبد الحليم حافظ فيما سألت:

- من الممثل ثقيل الظل؟

وبكل الصراحة والبساطة أجاب عبد الحليم:

– إنه الممثل .. صلاح نظمى.

استطاع صلاح نظمى أن يحصل على شريط تسجيل لما أذيع وأقام جنحة مباشرة ضد عبد الحليم حافظ.

قالت عريضة الدعوى:

إن عبد الحليم حافظ سبه وقذف فى حقه وهو ممثل ناجح ويحظى بالإعجاب. وبعد إذاعة البرنامج قذفه الناس بالطوب وكان يسكن فى حى المالية شارع جامع الإسماعيلى بالقرب من ميدان لاظوغلى.

وكانت أمه إيطالية من الذين يعيشون فى مصر وتجيد العربية.

قال صلاح نظمى فى دعواه أيضا إن المنتجين والمخرجين كفوا عن الاتصال به بعد إذاعة هذا البرنامج وأنه خسر مالا كثيرًا بسبب هذا البرنامج كما أصابه مرض السكر.

□□□

أمام محكمة بولاق الجزئية وفى يوم الجلسة حضر حشد كبير. وكانت الصحف قد نشرت خبر هذه القضية وموعد الجلسة.

حضر عبد الحليم حافظ وجلس إلى جوار محاميه بغرفة المحامين وهو لبيب معوض.

لاحظ القاضى أن الحضور على غير العادة من الجمهور ثم عرف السبب وأرسل إلى المحامى أنه سينظر القضية فى غرفة المداولة.

□□□

قال لبيب معوض المحامى: إن صلاح نظمى فى دعواه قد تنازل عن شركاء عبد الحليم فى البرنامج مما يعد تنازلا عن مخاصمة عبد الحليم.

وقال القاضى:

ضم الدفع القانونى إلى الموضوع وطالب المحامى الكلام فى الموضوع.

لبيب معوض وهو صاحب صوت عال لا يتفق مع جسمه النحيل.

هناك فرق بين الأشخاص وبين الشخوص.

وراح يشرح ويفسر.

الشخوص فى السينما هو الدور الذى يقوم به الممثل فى أدواره السينمائية.

واستمر يشرح :

إن مقصود عبد الحليم حافظ أن التمثيل الذى يقوم به صلاح نظمى لأشخاص ثقيلى الدم ناجح فيها تماما.

ثم أخذ يضرب الأمثلة ويتساءل:

حينما نقول إن الفنانة ماجدة هى عذراء الشاشة فهل هى عذراء حقا؟

الجواب لا ولكنها تجيد تمثيل هذه الأدوار.

الممثل محمود المليجى وهو فى غاية الرقة والأدب والذوق يوصف بأنه مجرم الشاشة.

مثال آخر:

فريد شوقى نقول عنه إنه وحش الشاشة مع أنه فى غاية الرقة والأدب.

كل هذه أوصاف للأدوار السينمائية لهم فى أفلامهم وهى دليل النجاح لهم فى هذه الأدوار ولا تتعلق بشخصياتهم ولكن ترتبط بشخوصهم فى هذه الأدوار.

ثم ختم مرافعته.

إن عبد الحليم مطرب ومغن أما صلاح نظمى فهو ممثل وبالتالى فلا توجد بينهما منافسة فى العمل مما يؤكد حسن النية المتوافر لدى عبد الحليم حافظ فيما قال ونسبه إلى الممثل صلاح نظمى.

وكان حكم البراءة.

عبد الحليم حافظ بعد براءته تصرف مع صلاح نظمى تصرفا حضاريا وإنسانيا اصطحبه معه فى سيارته. وقدم إليه فيما بعد أكثر من دور معه فى أفلامه السينمائية.

وانتهت الخصومة القضائية بين المطرب عبد الحليم والممثل صلاح نظمى..

(٢٩) فى عام ١٩٦٣

لامنى وزير الداخلية على مجهودى لصالح وزارته

كنا فى عام ٦٠ وربما ٦١ ظننت أننى قمت بمجهود طيب أستحق عليه الشكر من وزير الداخلية لكن الذى حدث هو العكس تماما.

كنت مستشارا مساعدا بهيئة قضايا الدولة. وحملت أوراقى مبكرا إلى محكمة القاهرة باب الخلق. وحملت معها هما ثقيلا فقد صدر الحكم من المحكمة الجزئية بحبس عسكرى شرطة ثلاثة شهور وتعويض كبير ضد وزارة الداخلية. لصالح مواطن أصابته سيارة شرطة.

وكان موقعى هو أننى المسئول عن موقف الوزارة مدنيا.

وقد استأنفت الحكومة الحكم أمام إحدى دوائر الجنح المستأنفة وبدأت الدفاع عن وزارة الداخلية المسئولة مدنيا عن عسكرى الشرطة بإصابة مواطن أثناء سيره بشارع محمد على والقضية بها شاهد واحد اسمه كذا.

قلت لمحكمة الجنح المستأنفة: إن الشاهد الوحيد فى هذه الدعوى لا يعدو أمره إحدى حالتين: إما كاذب وإما صادق. ولا يوجد فرض ثالث واستطردت.

فإن كان الشاهد كاذبا يتعين الحكم ببراءة العسكرى ورفض الدعوى المدنية ضد وزارة الداخلية.

ثم أكملت.. وإن كان صادقا يتعين أيضا الحكم ببراءة هذا المتهم ورفض الدعوى المدنية.

وبادرنى رئيس الدائرة.

– «تيجى ازاى دى.. فى الحالتين تطلب البراءة؟»

– نعم فى الحالتين.. وبدأت أوضح.

الشاهد الوحيد شهد بأن سيارة الشرطة كانت تسير بسرعة جنونية وكنا ليلا.. ونورها مطفأ.. ولم يصدر عنها آلة تنبيه حتى يتفاداها المجنى عليه ويسير بعيدا.. أى إن السيارة ارتكبت كل المخالفات التى يمكن نسبتها إليها.

مقتضى ما تقدم: إن كانت سيارة الشرطة ارتكبت كل المخالفات القانونية التى يمكن أن تصدر عن أى سيارة تسير ليلا فى شارع يكتظ بالمارة وهو شارع محمد على ولا يصدر عنها ومنها آلة تنبيه وأيضا تسرع الخطى ولا تعطى آلة تنبيه. فقد شهد أيضا بواقعة خطيرة ردا على سؤال هل كان هذا العسكرى المتهم يقود السيارة.

كانت إجابة الشاهد.. بالنفى وقال كلاما صريحا.. إن ضابط شرطة يحمل على كتفه نجمتين أى ملازم أول هو الذى كان يقود السيارة وليس الجندى المتهم.

أمسكت فى هذه النقطة.. إذا كان الشاهد صادقا وشاهد ما جرى فالمتهم ليس العسكرى ويتعين أخذ شهادته بكاملها وليس بجزء نريده لإدانة العسكرى. لأن الشهادة حلقات متصلة فى سلسلة واحدة لا انفصام بينها.

هنا بادرنى رئيس الدائرة الجنائية التى تنظر الاستئناف بالسؤال:

على أية حال أنت هنا كممثل لوزير الداخلية مسئول مدنيا أيضا عن الضباط. وكانت إجابتى:

أين هو الضابط الذى أعتبر مسئولا عنه.. إن اسمه ليس فى الأوراق فيتعين معرفته أولا ومثوله أمام المحكمة كى أعتبر مسئولا عنه مدنيا لكنه مجهول ولم تفصح الأوراق عنه.

ولما لم يكن هذا الضابط معروفا وغير مقدم فى القضية لمحاكمته وإنما المقدَّم للمحاكمة عسكرى شرطة ولما كان الشاهد شَهِد بأن المخالفات.. السرعة الجنونية.. عدم وجود نور ليلا بالسيارة.. عدم إطلاق آلة التنبيه. كل هذه المخالفات لقواعد المرور التى أدت لإصابة المجنى عليه. وبين هذه المخالفات وبين الإصابة علاقة سببية واضحة لكن المتهم بارتكاب الجنحة على أية حال ليس هذا المستأنف عسكرى الشرطة. ولكن شخصا آخر لا أحد يعرف من هو ولا اسم له فى الأوراق وبالتالى غير مقدم لمحاكمته. التفت

رئيس الدائرة إلى عضو اليسار وهمس فى أذنه بكلمات غير مسموعة ثم التفت إلى عضو اليمين وأسر فى أذنه بكلمات ثم نطق بالحكم.

براءة ورفض الدعوى المدنية.

ودارت الأيام.. فى الصيف وفى حى المنتزه قابلت وزير الداخلية التنفيذى وقتها عباس رضوان وكان السيد زكريا محيى الدين الوزير المركزى فى كابينة المهندس حلمى السعيد وزير الكهرباء الأسبق.

حكيت له ما جرى أمام محكمة الجنح المستأنفة.

لكن عباس رضوان تألم وأحس بالمرارة لموقف هذا المجنى عليه الذى لا يعرفه وقد ضاع حقه فى التعويض المدنى الذى يمكن أن يجبر ما جرى له.

وقال لى عندما تعود إلى القاهرة بعد الصيف أرجو أن تتصل بى لتقديم بيانات عن المجنى عليه لنصرف له تعويضا مناسبا لما جرى له من سيارة وزارة الداخلية لأنها فى جميع الأحوال هى المسئولة وواضح أن الضابط هو الذى كان يقود السيارة ثم افتداه العسكرى وادعى كذبا أنه كان السائق بدلا منه.

وعندما عدنا إلى القاهرة لم أتصل بالوزير كما وعدته لسبب بسيط. كان تعديل وزارى قد جرى وخرج عباس رضوان من

الوزارة وحل محله اللواء عبد العظيم فهمى والذى كان أول ضابط شرطة فى تاريخنا يتولى منصب الوزير سواء فى النظام الملكى أم الجمهورى.

③٠ فى عام ١٩٧١

خزينة الوزارة السرية نهبها شبانة !

تولي وزارة الداخلية عقب أحداث مايو ٧١ الشهيرة. وقد اشتهر بين أقرانه بالكفاءة وحسن الخلق.

بعد أن تم الاطمئنان إلى أن السيد شعراوى جمعة غادر وزارة الداخلية (فى ١٣ مايو ٧١) توجه السيد ممدوح سالم إلى الوزارة فى سيارة خاصة تابعة للحرس الجمهورى وبتعليمات من اللواء الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى.

كان السيد ممدوح سالم - قبل هذا المنصب الذى تولاه - محافظا للإسكندرية. وقبلها كان محافظا لأسيوط وقبلها كان رئيسا للمباحث العامة بمدينة الإسكندرية.

فى عهده حدث حادث غريب للغاية.

□□□

تختلف وزارة الداخلية عن غيرها من الوزارات بان بها خزينة سرية كبيرة للغاية نظرا لطبيعة عملها، وما تحتاجه للصرف والإنفاق على بعض العمليات التى تحتاج إلى مرشدين سريين والأمر بالتالى يحتاج إلى إنفاق.

وكان المعروف أن رؤساء الجهات الأمنية يتقدمون بطلب صرف المبالغ التى يحتاجون إليها فى بعض العمليات ويوافق عليها مساعد وزير الداخلية المسئول، ثم ترسل إلى رئيس الخزانة السرية فيقوم بصرف هذه المبالغ المطلوبة والمؤشر عليها بالموافقة. وفى المقابل ياخذ إيصالا على المستلم بالمبلغ ويوقع الإيصال أمامه.

رئيس الخزينة السرية بوزارة الداخلية كان.. «شبانة» ولم يكن أحد يشك فيه من قريب أو بعيد بل ومن أين يأتى الشك؟

إنه يراجع المذكرة المقدمة ويصرف لصاحبها المبلغ المطلوب ولا مانع إطلاقا عند إحساسه بأى شك أو ريبة فى الأمر أن يتصل بمساعد الوزير المختص ليستفسر منه ويستوضح.

لكن.. شبانة كان له أسلوب فى الصرف يعتبر سرا من الأسرار الخفية.. افرض أن رئيس مكتب الآداب طلب من مساعد الوزير المختص صرف مبلغ ١٠٠٠٠ عشرة آلاف جنيه واعتمد المختص الصرف وتوجه رئيس الآداب إلى شبانة.

شبانة كان يلجأ إلى أسلوب شيطانى.

كان يكتب الإيصال المطلوب التوقيع عليه على الآلة الكاتبة وهو الذى يقوم بتوضيب الإيصال. إذ كان يترك مساحة أو مسافة يقدرها هو ولا ينتبه إليها أحد ويخرج الإيصال بمبلغ عشرة آلاف جنيه كما اعتمده مساعد الوزير.

بعد أن يخرج صاحب الشان وقد استلم المبلغ ووقع على الإيصال كان.. شبانة يعود مرة أخرى إلى الإيصال الذى كتبه من قبل. وفى المساحة القليلة التى تركها عمدا يضيف بالآلة الكاتبة أيضا ما يراه.

فمثلا يضيف لفظ - مائة - فيظهر أن الموقع على الإيصال قد وقع على أنه استلم مائة وعشرة آلاف جنيه بدلا من عشرة آلاف جنيه فقط.

كل شىء يسير فى هدوء تام. وليس له شركاء فهو الذى يكتب الإيصال وهو الذى يعمد إلى الإضافة وهو الذى يخرج من الخزينة المبلغ الموقع عليه بالإمضاء ويسلمه لصاحب الشان ثم يعمد من ناحيته إلى الحصول لجيبه الخاص على المبلغ الذى أضافه عمدا إلى الإيصال.

وإذا كانت الجريمة لا تفيد، ولابد من هتك سر أى مجرم مهما فعل وظن أن أحدا لن يصل إليه.

فقد حدثت مفاجأة وأمر ليس على البال أو الخاطر..

أحد رؤساء القطاعات استلم المبلغ الذى تمت التوصية عليه، لكن - لأمر ما - تقرر العدول عن الخطة نهائيا. وبالتالى كان عليه أن يعيد المبلغ الذى سبق أن استلمه من الخزينة السرية لوزارة الداخلية.

توجه ومعه المبلغ واستقبله.. شبانة هشًا بشًا ظنا منه أنه يريد مبلغا آخر لكن الدهشة أنه كان يريد إعادة المبلغ السابق استلامه إلى خزينة الوزارة وفى الوقت ذاته طالب بالإيصال الذى سبق أن وقعه باستلام المبلغ.

شبانة رئيس الخزينة لم يكن فى وسعه أن يقدم له الإيصال الموقع عليه فيه لأنه حدث فيه تلاعب وأضيف إليه مبلغ آخر.. وبالتالى ادعى ضياعه وأنه بصدد البحث عنه.

وقدم شبانة حلا للموضوع أن يستلم المبلغ على أن يقدم إيصالا يوقعه هو باستلام المبلغ المردود. لكن صاحب الشأن رفض هذا الاقتراح وطالب بضرورة تسليمه الإيصال الموقع عليه منه بتوقيعه.

كان مازقا حقيقيا وقع فيه شبانة.

□□□

ولأن الضابط الكبير صاحب الموضوع له حاسة قوية للأمن استشعر أن فى الأمر شيئا غير مفهوم وكيف يضيع إيصال سبق التوقيع عليه؟

لم يكن ذلك أمرًا يصدق وأبلغ أمن الدولة التى وضعت شبانة تحت الرقابة وطلب التحرى عنه.

وأظهرت التحريات أن معالم ثراء حديث ظهرت عليه مؤخرا. فقد قام بتغيير مسكنه من مكان عادى إلى آخر يمتاز بالوجاهة والأبهة. فضلا عن أن أبناءه وكانوا من قبل راكبى الدراجات أصبحوا يتوجهون للجامعة بالسيارات.

كما أن أحد أشقائه فى قريته اشترى عدة أفدنة وهدم منزل العائلة وأقام مكانه بناء جديدا على الطراز الحديث.

عرض الأمر على الوزير ممدوح سالم وكان هناك اتجاه إلى إبلاغ النيابة العامة. لكن هذا الاقتراح رفض بشدة لأن شبانة لديه أسرار فى غاية الأهمية ولذلك اكتفى باعتقاله وبدأت الشرطة سؤاله بطريقتها الخاصة.

اعترف بما جرى تفصيلا لكن فى الوقت ذاته هدد بإذاعة ما لديه من أسرار عن أموال صرفت من الخزينة بطريقة غير قانونية.

مثال ذلك: شخصية كبيرة تحظى برعاية الدولة عليه أكثر من فاتورة يتعين دفعها إلى نادى الشرطة عن حفلات زواج أقامها وأشر عليها المختصون بدفعها من الخزينة السرية وتم ذلك.

مفروشات دخلت الوزارة إلى أحد المكاتب الهامة ودفعت الخزينة السرية ثمنها بتأشيرة من مسئول كبير.. وغير ذلك.. وغير ذلك.

قال لى محاميه الأستاذ أنور أحمد - وهو وكيل وزارة الشئون الاجتماعية السابق، والذى امتهن مهنة المحاماة بعد إحالته للمعاش وهو الذى قام بتمثيل فيلم مصطفى كامل -.

قال لى، إن شبانة كان قد وكله وقد أفضى إليه بأسرار وأخبار كثيرة ولهذه الأسباب غض الطرف عن إبلاغ النيابة والاكتفاء باعتقاله.

وكيف انتهى الموضوع؟

بعد اعتقاله بفترة قصيرة أصيب بجلطة فى المخ نقل على أثرها إلى القصر العينى وبعد أسبوع أبلغت أسرته بوفاته.

(٣١) فى عام ١٩٧٤

فشل انقلاب صالح سرية وإعدامه

كنا خارجين من نصر أكتوبر ٧٣ والفرحة تعم البلاد والبشر يلف العباد بعد أن طالت قامتنا وارتفع علمنا ومسحنا عارا لحقنا فى هزيمة ١٩٦٧.

لم يكن مضى وقت طويل حتى استيقظت البلاد أو رجال الأمن تحديدا على حادث خطير هز الناس هزا قويا لأنه كان مقدرا له النجاح ولولا عناية الله وستره لغاصت مصر فى أوحال وشرور.

فقد اتفق ودبر وتآمر ٩٢ شخصا على أمن البلاد. بأن أقاموا تنظيما سريا عسكريا لتنفيذ انقلاب عسكرى من شأنه أن يطيح بالنظام القائم وقتها. وظل هذا التدبير حوالى العام. وإذ شرعوا فيه أمكن إحباطه والقبض عليهم ثم محاكمتهم.

رأس التنظيم كان صالح عبد الله سرية طلال وهو موظف بالجامعة العربية عمره ٣٨ سنة فلسطينى الجنسية عاش فى العراق فترة طويلة وفيها وجهت إليه عدة اتهامات وحُكم عليه غيابيا بعشر سنوات وفر هاربا متخفيا. وينتمى سرية إلى تنظيم التحرير الإسلامى.

وقع حادث الانقلاب فى ١٤ أبريل ٧٤ وحكم عليه بالإعدام وتصدق على الحكم فى ٧٥/١٠/١٢. وتم التنفيذ فى ٧٦/١١/١٩.

وكانت النيابة العامة قد وجهت إلى سرية وأعوانه العديد من الاتهامات منها:

اتفقوا على إسقاط الحكومة بالقوة، وكانت خطتهم أنهم حاولوا تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة. ويقول قرار الاتهام: إن المتهمين اتفقوا فيما بينهم على إسقاط الحكومة بالقوة، وكانت الخطة المتفق عليها هى الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية للاستعانة بما لديها من إمكانيات من السلاح والذخيرة ووسائل النقل. وذلك باقتحام اجتماع عام للسيد رئيس الجمهورية وقتذاك، وهو مجتمع مع أعضاء اللجنة المركزية على أمل - بعد نجاح التنظيم فى عمله - أن يعلن إسقاط النظام وتوليهم السلطة فى البلاد.

ويقول قرار الاتهام:

.. بعد أن اتفقت إرادتهم على ما سبق تجمعوا فى ميدان العباسية على شكل مجموعات. ثم توجه بعضهم إلى الكلية الفنية العسكرية واقتحموها وقد استعانوا على ذلك ببعض طلبتها من الداخل من زملائهم فى التنظيم والمتعاونين معهم والمناوئين للحكم.

لكن إرادة الله شاءت أن يقاومهم الحرس القائم ويقبض عليهم وتفشل مهمتهم.

النيابة حصرت التهم الموجهة إليهم فى الآتى:

● احتلوا بالقوة مبنى الفنية العسكرية واستولوا على ذخائر وأسلحة بعد مهاجمة الحراس من الداخل والخارج وحازوا بالقوة هذه الأسلحة لاستعمالها فى غرضهم.

● قتلوا عمدًا مع سبق الإصرار كل من الرقيب إبراهيم محمد إبراهيم والعريف محمد عبد النبى والجنود حسين عبد الله إمام وزينهم زكى ومحمود سليمان محمود ومحمود عبد الوهاب راضى ورشيد السيد السيد من جنود الحراسة بالكلية الفنية العسكرية بأنهم انتووا قتلهم وعقدوا العزم على ذلك بأن باغتوهم واعملوا فيهم السكاكين والمدى.

● شرعوا فى قتل كل من الرائد محمد السيد عيسوى وعدد من صف الضباط والجنود من قوة الفنية العسكرية.

● سرقوا الأسلحة المبينة بالتحقيقات والمملوكة للقوات المسلحة - ليلا - وبطريق الإكراه.

● تسببوا عمدا فى انقطاع الخطوط التليفونية المملوكة للدولة للمنفعة العامة.

المتهمون من كارم الأناضولى وحتى محمد الصاوى على بصفتهم خاضعين للأحكام العسكرية لأنهم طلبة بالكلية الفنية العسكرية اتفقوا فيما بينهم على ارتكاب أفعال ترمى إلى الخروج عن طاعة السيد رئيس الجمهورية وتغيير نظام الحكم بالقوة.

المتهمان فتحى عبد السلام مبارك وسعيد عبد الله حماد وهما نقيبان فى القوات المسلحة علما بوجود شروع ارتكاب أفعال ترمى إلى تغيير نظام الدولة بالقوة وكل منهما تراخى فى إبلاغ السلطات المختصة بما لديهم من معلومات سرية لمناهضة النظام.

فى ٣١ مايو ١٩٧٥ أصدرت محكمة أمن الدولة العليا برئاسة المستشار برهان العبد وعضوية المستشارين عبد اللطيف المراغى ووجدى عبد الصمد أصدرت الحكم فى هذه القضية.

بإجماع الآراء كان الحكم بإعدام الدكتور صالح سرية طلال وعبد المنعم الأنصارى ومكرم عزت حسن الأناضولى.

كما تضمن الحكم الأشغال الشاقة ضد ثمانية من المتهمين وبالأشغال الشاقة المؤقتة ضد ستة من المتهمين وبالأشغال الشاقة عشر سنوات والأشغال خمس سنوات على عدد آخر من المتهمين.

وكان حظ عدد كبير من المتهمين الحكم ببراءتهم وبلغ عددهم ٦٠ متهما بينما العدد الإجمالى كان ٩٢ متهما.

❑❑❑

بهذه المناسبة قال لى المستشار ماهر حسن النائب العام الذى حقق هذه القضية خبرا غريبا للغاية قال: (وكنت فى زيارة خاصة له بعد إحالته للمعاش).

اتصل به أثناء التحقيقات السابقة السيد ممدوح سالم وكان وزير الداخلية وطلب منه استدعاء السيد حسين الشافعى وكان نائبا لرئيس الجمهورية لسؤاله فى هذه القضية كرأس لهذا التنظيم. وأضاف السيد ممدوح سالم له إن صالح سرية أبلغ أحد ضباط المباحث العامة فى السجن بهذه المعلومة الخطيرة: يقول النائب العام الأسبق محمد ماهر حسن إنه أجرى تحقيقا مبدئيا عن هذه الواقعة وتبين أن أحد ضباط المباحث فى السجن حرر تقريرا بأن صالح سرية أبلغه بذلك أى إن السيد حسين الشافعى كان رأسا لهذا التنظيم وكان الموجه لهم.

لكن عندما سئل صالح سرية عما جاء فى تقرير الضابط أنكر ذلك وقال: إن الضابط هو الذى كان يريد منه هذا الاعتراف ضد حسين الشافعى لكنه رفضه لمخالفته للحقيقة والواقع.

ويختتم النائب العام الأسبق حديثه لى بأنه قرر رفض استدعاء السيد حسين الشافعى للتحقيق. لمزيد من المعلومات - راجع القضية رقم ٣٦٨٧ ش ٧٤ الوايلى أمن دولة عليا - مركز الدراسات القضائية التابع لوزارة العدل بالعباسية.

٣٢ فى عام ١٩٧٧

بعد معاهدة كامب ديفيد
المطالبة بجثتى قاتلى اللورد موين

قال لى صديقى شحاته هارون المحامى وهو يهودى الديانة وأحد عاشقى مصر والذى رفض مغادرتها تحت أى ظرف.

قال: إن اليهود حسب الديانة يهتمون بجثة المتوفى ولابد أن يصلى عليه حاخام. فإذا لم يحدث تظل روح المتوفى هائمة فى الجو، كما أن أرملته لا يجوز ولايصح لها أن تتزوج قبل أن تتم له مراسم الدفن.

المناسبة بعد أن تمت معاهدة كامب ديفيد التى وقعت بين مصر وإسرائيل تحت رعاية وإشراف أمريكا.

رئيس وزراء إسرائيل مناحم بيجن طلب من الرئيس السادات أثناء إحدى زياراته طلبا مهما للغاية هو أن تحصل اسرائيل على جثتين لشابين من اليهود أعدما فى مصر منذ فترة طويلة وتحديدا عام ١٩٤٥ أيام النظام الملكى وفيما يلى التفاصيل.

□□□

أيام النظام الملكى كان لدينا فى الشرطة درجة تقل عن ملازم ثان قليلا وتزيد كثيرا على أمين الشرطة وهو نظام الكونستابلات وكان الكونستابل من الحاصلين على شهادة الكفاءة وهى قريبة من الثقافة ثم يلتحق عدة شهور بمدرسة الكونستابلات.

فى عام ١٩٤٥ قام الكونستابل الأمين محمد عبد الله بعمل مجيد أنقذ به مصر كلها من ورطة كان من الممكن أن تقع فيها ونال مكافاة على ذلك ان رقى إلى رتبة ضابط كما أنعم عليه الملك فاروق بنيشان وأصبحت صورته فى كل مكان واسمه على كل لسان.

أحد المسئولين البريطانيين فى مصر هو اللورد «والترموين» وهو وزير الدولة البريطانى بالشرق الأوسط ومقره الأساسى القاهرة.

فى أحد الأيام وعند الظهيرة أطلقت عليه أعيرة نارية بعد وصوله إلى منزله بشارع حسن صبرى بالزمالك وكان يهم بالنزول من سيارته وقام الفاعلان بركوب دراجتين وأسرعا بالهروب فى شارع فؤاد - ٢٦يوليو - وصاح خلفهما الأهالى فى شوارع الزمالك «أمسك حرامى». ولكنهما قاما باطلاق النار فتفرق القوم.

وتصادف مرور الكونستابل الأمين عبدالله وهو أسوانى فطاردهما «بموتوسيكله» وتبادلوا إطلاق الرصاص من ناحيتهما لمنعه من مواصلة تعقبهما ومن ناحيته لشل حركتهما والقبض عليهما. واستطاع بمعاونة بعض الأهالى أن يقبض عليهما وحاول

الأهالى الفتك بهما بالضرب غير أنه تصدى للمعتدين ودافع عن حياة المتهمين الذين قاما بقتل اللورد موين.

على صعيد آخر كان اللورد موين قد نقل إلى المستشفى وانتقل إليه فريق من الأطباء البريطانيين بالسفارة محاولين إنقاذه وأسرع رئيس الوزراء أحمد باشا ماهر بالتوجه إلى المستشفى للاطمئنان عليه كما اتصل الملك فاروق بالسفارة البريطانية متمنيا له الشفاء إلا أن اللورد موين توفى بعد عدة ساعات. أما حارسه فتوفى فور إطلاق النار عليه.

ونعاه - تشرشل - فى مجلس العموم إذ كان موين عضوا به وطالب الحكومة المصرية بسرعة القصاص. وكانت المفاجأة أن المتهمين ليسا مصريين بل يهوديان ينتميان إلى منظمة «اشتيرن». وكان يرأسها اسحاق شامير. وكان سبب الاغتيال غريبا للغاية وهو إحراج السلطات المصرية والايقاع بينها وبين حليفتها بريطانيا.

اعترف المتهمان الياهو حكيم والياهو تسورى بأنهما قدما من فلسطين بهدف اغتيال هذه الشخصية البريطانية الكبيرة ونزلا لدى سيدة يهودية يومين. ثم غادرا منزلها إلى لوكاندة باسمين مستعارين.

ورفض المتهمان الاعتراف بالندم على ما فعلا وأوضحا تفصيلا كيف فكرا فى ارتكاب الجريمة. وتوصلا إلى أن أفضل الأماكن هو

اغتياله فى منزله كما قررا البدء باغتيال سائقه ثم اغتياله حتى يضمنا عدم تعقبهما من ناحية الحارس المسلح بطبيعة الحال.

جلسات المحكمة استمرت ثمانية أيام فقط بدات فى ١٠ يناير ١٩٤٥ وانتهت فى ١٨ من نفس الشهر.

دائرة محكمة الجنايات رأسها محمود باشا منصور النائب العام فيما بعد ومثل النيابة عبدالرحمن الطوير باشا وحضر جلسة الافتتاح ثم حل محله رئيس النيابة نجيب بك أحمد والد الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء الأسبق والمشرف العام على المجالس القومية المتخصصة الآن.

حضر مع المتهمين حسن الجداوى المحامى ودفع دفعا قانونيا بعدم اختصاص القضاء المصرى. لكن هذا الدفع رفضته محكمة الجنايات على أساس أن الجريمة وقعت على أرض مصرية ويختص بنظرها القضاء المصرى.

ثم دفع دفعا آخر بأنهما دون السن القانونية وقدم شهادات غير رسمية بذلك. لكن المحكمة رفضت هذا الدفاع وتبين أن المتهم الأول يبلغ سن العشرين والثانى ٢٢ سنة.

وبعد عرض الأمر على فضيلة مفتى الديار المصرية صدر الحكم بإعدام المتهمين الاثنين شنقا وكان الاتهام أنهما اغتالا اللورد موين وسائقه. وشرعا فى قتل الكونستابل الأمين محمد عبد الله وتم ذلك عمدا مع سبق الاصرار والترصد.

وصلت إلى الحكومة المصرية آلاف البرقيات من مختلف بلاد العالم تطالب بعدم تنفيذ الإعدام والعفو عن المتهمين وكان أمرا معروفا أن البرقيات جاءت من الجاليات اليهودية فى البلاد المختلفة.

وتأخر تنفيذ الحكم حوالى ثلاثة شهور لكن بريطانيا، وتحديدا تشرشل، طالبت الحكومة المصرية بسرعة إعدامهما واتصلت السفارة البريطانية بالملك فاروق لتبلغه رأى الحكومة البريطانية أن التراخى فى التنفيذ سيوجد فجوة بين البلدين واستجابت الحكومة المصرية وتم إعدام القاتلين.

□□□

وتدور الأيام ولايقف الزمان وتعقد مصر معاهدة سلام مع إسرائيل ويقول الرئيس السادات: إن ما مضى من حروب مع اسرائيل هو آخر الحروب وقد انكسر الحاجز النفسى بيننا وبينهم.

وتكثر زيارات بيجين لمصر وتكون له طلبات فى كل زيارة وقال مرة: إن أجداده هم الذين بنوا الأهرام ولكن لن يطالب بالمقابل.

وفى إحدى زيارات بيجن لمصر طالب بجثتى الرجلين القاتلين حكيم وتسمورى وتستجيب مصر للطلب وتنقل رفاتهما ليدفن من جديد فى إسرائيل وسط احتفال بالتكريم والتمجيد.

فقد كان المتهمان من وجهة نظر حكومة اسرائيل بطلين شعبيين قاما بعمل وطنى يستحق التكريم وجدير بالتمجيد.

الفهرس

السنة	الموضـوع	الصفحة
	المقدمة	٥
١ – ١٢٤٩	اغتيال ملكة مصر ضربا بالقباقيب	٩
٢ – ١٨٠٠	أول اغتيال سياسى فى مصر	١٦
٣ – ١٨١١	مصرع زعلوك خطأ فى مذبحة المماليك	٢٢
٤ – ١٨٩٤	ثلاث باشوات وست سودانيات وعربجى.....	٢٨
٥ – ١٨٩٨	وللملوك أيضا جرائم.....	٣٤
٦ – ١٨٩٩	فى نادى محمد على: تبادل إطلاق الرصاص بين الأمراء	٤١
٧ – ١٩٠٤	الزواج باطل لأن الزوج صحفى	٤٨
٨ – ١٩٠٦	محكمة تنعقد فى قرية صغيرة يطير اسمها إلى أوروبا	٥٣
٩ – ١٩٢٢	نجاة عدلى يكن وعبد الخالق ثروت واغتيال آخرين خطأ	٥٩
١٠ – ١٩٢٣	براءة فرنسية اعترفت بقتل زوجها المصرى.....	٦٤
١١ – ١٩٢٤	أول محاكمة للشيوعيين فى مصر	٦٩
١٢ – ١٩٢٥	فصل قاض بطريقة دبلوماسية.....	٧٥
١٣ – ١٩٣٤	تحطيم الحَانات وضرب السكارى.....	٨٠
١٤ – ١٩٣٧	الحجر على نسيم باشا بأمر المحكمة	٨٥

السنة	الموضـــوع	الصفحة
١٥ – ١٩٤٠	المحكمة تفض الجلسة لأن الشعر غير مفهوم	٩١
١٦ – ١٩٤٢	الخوذات المقلدة.....	٩٦
١٧ – ١٩٤٣	عزيز المصرى واعتقاله فى إمبابة بعد محاولة فاشلة للهروب بطائرة حربية	١٠١
١٨ – ١٩٤٥	اغتيال أحمد ماهر فى مجلس النواب	١٠٧
١٩ – ١٩٤٦	مكرم عبيد يصيح يسقط صدقى.....	١١٣
٢٠ – ١٩٤٦	مصرع أحمد باشا حسنين فى حادث مدبر.....	١١٨
٢١ – ١٩٤٧	كيف تم القبض على قاتل أمين عثمان	١٢٢
٢٢ – ١٩٤٩	اغتيال مرشد الإخوان حسن البنا	١٢٨
٢٣ – ١٩٥٠	جماعة دينية تطالب بإحراق الشيخ خالد.....	١٣٤
٢٤ – ١٩٥٠	تجريد الملكة نازلى من لقبها ومصادرة أملاكها.....	١٣٩
٢٥ – ١٩٥١	برقية من عمرو باشا تفضح فاروق	١٤٥
٢٦ – ١٩٥٣	محكمة الجنايات برأت المتهمين فى قضية الأسلحة الفاسدة	١٥٠
٢٧ – ١٩٥٤	١٢٠٠ جنيه مشروب أناناس لوفد أجنبى.....	١٥٦
٢٨ – ١٩٦٢	براءة عبد الحليم حافظ من إهانة صلاح نظمى	١٦١
٢٩ – ١٩٦٣	لامنى وزير الداخلية على مجهودى لصالح وزارته .	١٦٧
٣٠ – ١٩٧١	خزينة الوزارة السرية نهبها شبانة.....	١٧٢
٣١ – ١٩٧٤	فشل انقلاب صالح سرية وإعدامه.....	١٧٨
٣٢ – ١٩٧٧	بعد معاهدة كامب ديفيد المطالبة بجثتى قاتلى اللورد موين	١٨٣

المستشار عبد الحميد يونس

من هو؟

- عندما كان طالبا بالثانوى عشق سيرة الزعيم مصطفى كامل سياسيا ومحاميا وصحفيا.
- إثر تخرجه عمل محاميا فى مكتب أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى وإلى جوار المحاماة عمل صحفيا بدار أخبار اليوم.
- مع حبه للعملين غلبته الظروف وكان الالتحاق بسلك القضاء – النيابة – وبعدها هيئة قضايا الدولة وفى عام ٧٣ رقى إلى درجة مستشار. وفى عام ٨٠ رقى إلى وكيل الهيئة.
- بعد المعاش صدر قرار جمهورى بتعيينه عضوا بالمجلس القومى للثقافة والإعلام بالمجالس المتخصصة.
- دقهلاوى -- من الحاكمية -- ميت غمر.
- صدر له أربعة كتب سابقة وما بين يديك الآن هو الكتاب الخامس.
- أيام النظام الملكى كان له باب ثابت فى الجريدة الاشتراكية عنوانه: فى «المليان». والآن له باب أسبوعى فى مجلة أكتوبر يحمل عنوان: إنه فى يوم.

العدد القادم

النقاب

دكتور: أحمد شوقى الفنجرى

إشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الإشتراك السنوى:

- داخل جمهورية مصر العربية ٣٦ جنيهاً
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٥٠ دولاراً أمريكيًّا
- الدول الأجنبية ٧٥ دولاراً أمريكيًّا

تسدد قيمة الإشتراكات مقدماً نقداً أو بشيكات بإدارة الإشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء - القاهرة.

أو بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة.

رقم الإيداع	٢٠٠٣/١١٢٧٥
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6464-4

١/٢٠٠٣/١٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)